

كتاب الشعب

سلسلة تحقق اشتراكية الثقافة



1979

سليمان كشلاف

دراسات في القصة الليبية القصيرة

الكتاب والتوزيع والاعلان والمطابع

حسن يوسف الفرجاني

دراسات في القصة الليبية القصيرة

كتاب الشعب

سُليمان كشلاف

دراسات
في القِصّة الليبيّة القصيرة

مَنشُورَات

الكِتابُ وَالتوزيع وَالإعلان وَالمطابع

العـدد 6 يونيو 1979

الطبعة الاولى

1979

الطبعة الثانية

1981

هموم الحياة والموت
عند محمّد الشويهدي

أرقت المشكلة الاجتماعية العديد من كتابنا وأدبائنا طيلة السنين الماضية ، فما من كاتب إلا وكان له وجهة نظر قالها أو كتبها ، يحدد أبعاد المشكلة ويعطيها تصوراً معيناً ، يختلف من كاتب لآخر ، من زاوية الرؤية ، في أسلوب العرض ومحاولة إيجاد الحلول ، ومن حيث الامتداد الزمني في ملاحقته للمشكلة ، أي نضج تفكيره في زمن معين وعمره أثناء تصديه للكتابة فيها وموقع (الزمن المعين) نفسه خلال حركة المجتمع في تطوره السريع والمتواصل .

والقصة القصيرة ، بالإضافة إلى الرواية ، هي التي تحدد بالضبط جوهر المشكلة الاجتماعية ، باعتبارها أكثر الأشكال الفنية الإبداعية ، إمكانية وقدرة على قولبة وتكثيف تلك المشاكل وعرضها بصورة مقبولة تجد استجابة لدى القارىء ، الموجهة إليه بالدرجة الأولى .

إلى جانب أنها تقوم بعملية التوثيق والتسجيل لسلوك أنماط إجتماعية عديدة ، تعرض وجهة نظرها ، وتحدد أبعادها تجاه المشكلة الإجتماعية .

وعن طريق دراسة النماذج القصصية (في القصة والرواية) يستطيع الانسان تحديد كافة المسارات التي تفسر حركة المجتمع وبنياته ، السياسية ، الاقتصادية الإجتماعية ، والثقافية . . . بل وحتى السلوك الأخلاقي . . . والنماذج الغريبة . . . والشاذة . . .

إن المقارنة بين النماذج الاجتماعية التي عرضها (عبد القادر أبو هروس) و (يوسف الدلنسي) و (كامل المقهور) وحتى (محمد فريد سياله) في الخمسينات من هذا القرن وبين نفس النماذج الإجتماعية التي عرضها (عبدالله القويري) و (يوسف الشريف) و (بشير الهاشمي) و (خليفة الفاخري) و (أحمد الفقيه) و (خليفة التكبالي) في الستينات ونماذج (عمر الككلي) و (محمد المسلاتي) و (محمد الزنتاني) و (عبد السلام

شهـاب) و (جمعـة بوكليب) و (إبـراهيم النجمي) و (داود الحلاق) و (شريفـة القيادي) و (فاطمـة محمـود) في السبعينـات ، توضـح ذلك التطـور في السلـوك الإجتماعـي ، تختلف تلك النماذج المتوحدة عند كتاب القصـة ، تختلف في سلوكهـا ، وفي طبيعـة تفكيرهـا ، في أفعالهـا وردود أفعالهـا ، لتعطينـا الصورة الكاملة لفعل الزمن والثقافة والاحتكاك الحضاري وتطور المفاهيم في تغيير طبيعة الأشياء .

فما الـذي يضيفـه القصـاص (محمـد علي الشويهدي) عبر مجمـوعتيه القصصيتين (أحـزان اليوم الواحـد) [1] و (أقـوال شاهـد عيان) [2] . . ؟

تتحـدد المشكلـة الاجتماعية عنـد (محمـد الشويهدي) في عدة نقاط تبرز من خلال قصصه ، لعل

(1) أحزان اليوم الواحـد : قصص قصـيرة / منشـورات مكتبـة قورينا / ط/ ١٩٧٣ م .
(2) أقوال شاهد عيان : قصص قصيرة / منشورات الشركة العامة للنشر والتوزيع والاعلان / ط/ ١٩٧٦ م.

أهمها وأكثرها حساسية وضع المرأة في المجتمع .

فمن خلال متابعة حركة المجتمع يستطيع الإنسان الخروج بكثير من الخطوط العريضة التي تشكل وجهة التفكير السائدة عبر كل حقبة زمنية .

إن وجود المرأة مرفوض بالنسبة للمواطن الليبي في حالتين ، أن تكون إبنته أو أخته ، مقبول في حالتين أيضاً ، أن تكون أمه أو حبيبته ، وفي بعض الأحيان زوجته ، وتلك الهوة هي التي تكشف الفارق الرهيب بين النظرية والتطبيق في تفكير صغار السن ممن يتكون منهم صلب المجتمع الجديد ، كما تكشف عن تخلف فظيع في التفكير لدى كبار السن من حيث النظر إلى الأنثى على أنها جهاز تناسلي فقط ، هو مركز عفتها، وبدونه لا تساوي حبة خردل .

والأمر يبدأ منذ الصغر ، منذ أن يتشكل الجنين في أحشاء المرأة ، بل قبل ذلك ، منذ الزواج ، كبداية لمشروع طفل ، وقبله بكثير كحلم ، كأمنية ، في تفكير إنسان ما في زمن ما ، داخل المجتمع الليبي .

نلمس هذا في قصص (محمد الشويهدي) على

تطور المراحل الثلاث . . .

« ومضى يحلم . . .

- الدنيا ما زالت أمامي . . . سأفعل الكثير . . . سأنجح وأنجح ، وسأتزوج نعيمتي الحبيبة وسأعيش حياتي الرائعة في ربوع أحلامي .

وضغط على اليد الصغيرة المختفية في كفه ، وخالها يد ابنه في طريقهما إلى دار الخيالة وأحاطته هالة من الفرح وسرت في كيانه بهجة فاضت بها عيناه وثغره وملامحه وخطواته » [1] .

تلك هي النقطة الأولى ، أن يرزق الإنسان بنسل ، أن يكون ولداً شيء ممتاز ، وفي حالة إستحالة الولد لا بأس أن يكون المولود بنتاً ، لكنها ستهمل بمجرد أن يأتي الذكر « عندما بلغت السادسة لحقني الآخرون ، أعني بقية السرب ، إخوتي ، جاءوا إلى الدنيا

---

(1) أحزان / قصة لمسات الهوى ص 60

الواحد تلو الآخر ، وبدأ أبواي اللذان اشتاقا طيلة سنوات معاناتهما للأطفال ينصرفان عني إلى إخوتي » [1] .

والنقطة الثانية الجوهرية في تفضيل الذكر على الأنثى ، أن الذكر هو الذي يحفظ الاسم ، يحفظ الثروة ، ويبقى تسلسل الشجرة المباركة التي تعشش في ذهن كل فرد ، إنها إرضاء للغرور الإنساني الذي عجز عن الخلود ، فأوجده في الإبن [2] ، متسلسلاً من أب وجد وأجداد ((أنت لا تعرف مبلغ حزني كلما أحسست أنني أحرمك بعقمي من الابن الذي يرعاك في شيخوختك وعجزك)) [3] .

لكننا نجد تفرعاً آخر لهذه النقطة الجوهرية خلاف فكرة

---

(1) أحزان / قصة إعترافات جريئة ص 109

(2) تعرضت لهذه النقطة بالتفصيل في دراستي (رحلة الإبداع مع كامل المقهور) .

(3) أحزان / قصة الحاج مسعود ص 48

الخلود ، إن فكرة الخلود والاستمرارية قد تبرر تفضيل الذكر على الأنثى ، لكنها لا تبرر احتقار الأنثى ، بل كراهيتها .

((- إن إنجاب البنات كارثة تصيب الرجال . . . لو كانت ولداً لما حدث ما حدث . . . ليته قتلها وأراحني منها ما دامت ألسنة الناس ستلوك فضيحتنا . . .))[1] .

* * *

((البنات بذرة إبليس النجس في كل بيت ، البنات نبت شيطاني كان العرب يقبرونهُ في لحظة مولده ، البنات آفة تصيب الرجال ، مسعودة بذرة نجسة ونبت شيطاني وآفة أصبت بها رغم أنني لم أرتكب أي إثم منذ وعيت الخير والشر . .))[2] .

* * *

(1) قصة أحزان اليوم الواحد ص 43

(2) أحزان / قصة مسعود يعاكس مسعوده ص 73 ، 74

((ـ والله البنت كبرت وأخاف أن تفضحني ذات يوم . . . أتعرفين ما حدث مع إبنة الحاج إبراهيم ؟ . . . إنها . .)) [1] .

الفضيحة والعار دائماً ، وبالذات في مفهوم الشرف والعفة ، لا يلتصقان إلا بالأنثى كطرف فاعل ، ومن ورائها أسرتها التي ستتلقى الصدمة ، وحتى مع عدم حدوث ما يشين من الأنثى وبقائها دون زواج فإنها أيضاً تمثل لدى الذكر همّاً آخر . . .

((ـ عانس . . . أنت عانس .. . . لا أحد يرغبك . . . وستعيشين أيامك رهينة هذه الجدران التي لا تنضح بغير التعاسة)) [2] .

إن مثل هذا الكلام لا يواجه الذكر . . . ومن كل ذلك ترتب أمران جديدان :

---

(1) أحزان / قصة ممنوع الخروج ص 52

(2) قصة أحزان اليوم الواحد . ص 37 ، 40

الأمر الأول ، أن الذكر اكتسب سيطرة على الأنثى ، فمهما كان سن الذكر ، ومهما كانت صفته ، ومهما كان عمر الأنثى ، يكفي أنها أنثى ، وأنه الذكر .

((. . . وانهالت لكمات محمود القوية حيثما اتفق ، وتقبلت ضرباته دون أن تفر من عينيها دمعة أو يصدر عنها صوت ، وأشفى محمود غليله لكماً وركلاً ، ولملمت نفسها عن الأرض في إعياء ، ولاحقتها كلماته الجارحة الغاضبة . . .)) [1] .

* * *

((. . . لجأت إلى غرفتي أبكي ، أنزف دموعي على مخدتي ، وكلمات أخي الذي يصغرني تأتيني ثائرة في غباء طفولي يكاد يدفع بي إلى الجنون :

ـ لا يمكن . . لا يمكن أبداً أن أكون مضحكة بين الناس)) [2] .

---

(1) قصة أحزان اليوم الواحد . ص 37 ، 40 .

(2) أحزان / قصة إعترافات جريئة ص 113

الأمر الثاني ، أن الأنثى نفسها سلمت قيادتها للذكر ، ورسخ في تفكيرها أنه الأفضل والأعقل ((وتمنت حليمة نفسها ولداً لتنعم بكل هذا الدلال ، وحسدت إخوتها على سعادتهم ولون حياتهم ، واستاءت لفكرة أنها تحسدهم ، وعالجت استياءها بأن احتضنتهم في خيالها وابتسمت لشقاوتهم وخبثهم)) [1].

تجاه كل الضغوط وكل القهر الذي تواجهه الأنثى من الذكر ، لم يكن لها من نصير إلا الاعتماد على نفسها ، ولكنها ، عندما تدور الحلقة الزمنية ، وتصبح هي التي تقوم بدور الأم ، فهي التي تتولى الدفاع عن ابنتها متمثلة فيها نفسها ، ملاحظة عاملين ضمن هذا الدفاع ، أنه ينطلق من اقتناع كامل بالمرتبة التي وضعت فيها ، وأنه لا يتم - أي الدفاع - بحضور الأنثى ، إنه يكون دائماً في جلسة خاصة بين الأم والأب ، ذلك أن الأم - في مواجهة

---

(1) قصة أحزان اليوم الواحد ص 38

ابنتها ـ تبدي نفس الآراء ، وتعاملها بمنتهى القسوة ، وإن كانت بطبيعة الحال أقل من قسوة الذكر .

((ـ عيب يا حاج . . . والله ما عندك حق . . . تختلف معهم من أجل خمسين ديناراً . . . خمسون ديناراً يا حاج . . .)) [1] .

* * *

((ـ إذن فأنت توافقه على فعلته . . . كنت أظنك تترقب رجوعه لتثأر لابنتك المسكينة . . . ولكنكم من طينة واحدة . . . قساة . . . قساة . . .)) [2] .

* * *

((وأجابته أم مسعودة :

---

(1) قصة أحزان / رحلة الأحلام ص 21
(2) قصة أحزان اليوم الواحد ص 43

- إسمع . . . إسمعني . . . البنت كانت عائدة . . . كانت في طريقها إلى البيت ، إعترض طريقها مسعود وعاكسها ، لم ترد عليه ، لم تكلمه ، ظل يلاحقها فلم تستطع أن تفعل شيئاً)) [1]

* * *

((- إنني أنا التي ربيتها ، غربلتها دقيقاً وعجنتها خبزاً وسويتها بالطريقة التي أتمنى فلا تخف . . . ثم إن سالمة درويشة وليست كالأخريات . . .)) [2] .

ومما يزيد في حدة دفاع المرأة عن ابنتها إعتبار الأم نفسها المسئولة الأولى عن أي تهمة تلصق بالفتاة ، على سلوكها وتصرفاتها ، فدفاع الأم إذن هو في الواقع دفاع عن نفسها بالدرجة الأولى ، ودفاع عن ابنتها في الدرجة الثانية . إنه

---

(1) أحزان / قصة مسعود يعاكس مسعوده ص 73
(2) أحزان / قصة ممنوع الخروج ص 82

دفاع عن الوجود أساساً .

وتدور عقارب الساعة من جديد ، تحل وجوه بدلاً من وجوه ، ويلعب الزمن لعبته في تشكيل المجتمع ، وفي صنع قيمه وأخلاقياته .

ينتهي جيل برؤياه وأفكاره ليبدأ جيل جديد ، تتسلل إليه مثل جديدة ، وقيم جديدة تصوغ حياته ، أو يحاول هو أن يصوغ حياته على أساسها .

من تلك القيم المكتسبة ، من خلال واقع سيء ، تنطلق آمال وأحلام لا يحدها الأفق لتشكيل حياة جديدة تكون خالية من أخطاء الماضي ومن عقده وهمومه .

وفق هذا المفهوم تترتب حياة الشاب على أساس بنائها تدريجياً ، بناء نفسه بالعلم والثقافة . إيجاد نفسه ، في عمل مناسب يوافق قدراته ، تشكيل كيان خاص به في أسرة نموذجها المثالي في خياله . من فتاة أحلام يتعرف بها . يتحابان ، يصوغان مستقبلهما وفق ما يريدان ، لكنهما يصدمان بجدار صلد من قيم قديمة تحكم تصرفاتهما ،

تقيدهما ، سلوكاً وتفكيراً ، في حدود معينة لا يتجاوزانها وإلا كانت النهاية .

والنهاية دائماً تختلف ، بحسب الجنس ، بين الذكر والأنثى .

في البداية يختلف السلوك ، بين النظرية والتطبيق ، وفي النهاية يختلف الجزاء المقابل للفعل ، إنها دائماً تلك اللعبة الاجتماعية القذرة .

وهذا ما يقدم ((محمد الشويهدي)) نماذج له .

إن الذكر يحلم بمثل وسلوك يستطيع على أساسهما إبراز كيان إجتماعي جديد « أسرة » خالٍ من العقد ، خالٍ من القيود ، لكنه يسقط عند الاختبار الأول ، عندما يكون داخل اللعبة الاجتماعية ، أما عندما يكون خارجها فإنه يلعن تلك القيود ويطالب بإزالتها .

أما بالنسبة للأنثى فإنها تتحطم تماماً ، تحاول تحقيق أفكارها وأمانيها ، تصطدم بالحاجز ، تحاول أن تقاوم ،

لكنها تصدم ، تواجه من جميع الأطراف ، تتحطم ، ومع تحطمها يبرز كيان إجتماعي جديد « أسرة » هزيل ، يخضع لكل الضغوط ، وكل القهر الاجتماعي .

إننا نلتقي مع الخيالات والأحلام التي تطوف بذهن الشاب وذهن الفتاة في سبيل تقويض كيان وبناء كيان آخر بديل .

((إنه سالم ، حلمها الجميل الذي عاشت تحلم به منذ شهور تكاد تقارب السنة ، فتخاله زوجها الطيب الودود ، معه تحت سقف واحد ، يرقدها في عينيه الزرقاوين ويغطيها بجفونه المسبلة الطويلة ، فتنام العمر كله دون أن تحرك ساكناً غير لسانها ، تديره في حلقها فلا يلفظ سوى اسمه . . . سالم . . .)) [1] .

* * *

---

(1) أحزان / قصة بعض من تصورنا ص

((وارتعشت لفكرة أنها قصَّرت في حق سعيد ، وتمنت لو أنها صارحت أمها بحبها لسعيد ورجتها أن تدفع أباها إلى القبول ، وتألمت لعجزها عن أن تفعل شيئاً ، لكن أمها تعرف على كل حال أنها لا ترفض سعيد ، وربما حدثت أباها ، ربما . . .))[1] .

* * *

((. . . خالت نفسها صغيرة تلهو في الشارع دون أن تثير انتباه أحد . . . ولمحت فتى في عمر أخيها محمود يقف على الرصيف المقابل لنافذتها ، وتأكد لها أنه يراقبها فاختفت خلف الستار ، ولكنها فرحت كطفلة وتلصصت عيناها تتابع حركاته التي يريد أن يخفي بها عن المارة غايته وتخدرت أوصالها وأحست بسعادة تطغى على كل حواسها . وتمنت

---

(1) أحزان / قصة رحلة الأحلام ص 19

أن يكون لها حب وأحلام ، ودغدغتها تخيلاتها الشابة ، وسرحت خلف مستقبل الأيام ، والفتى الوله الذي لا يكف عن الوقوف ولا يمل الانتظار ، وأصوات الخاطبات تملأ البيت مرحاً وحياة ، والزغاريد والدبلة وأيام العرس ، وعرف ثغرها لأول مرة بسمة الرضى . . .))[1] .

* * *

((وأشبع صورة نعيمة تقبيلاً ثم أخفاها في جيب معطفه ، وفتح باب الغرفة وأمسك بيد أخيه وخرج إلى الشارع .

ومضى يحلم . . .

الدنيا ما زالت أمامي . . . سأفعل الكثير . . . سأنجح وأنجح ، سأتزوج نعيمتي الحبيبة

---

(1) قصة أحزان اليوم الواحد ص 39، 40

وسأعيش حياتي الرائعة في ربوع أحلامي))[1] .

* * *

((وبلع ريقه ، وفرح ، إعتقد أن سخريته تلاشت في ضوضاء الشارع ، ولكن مسعودة تسمرت في مكانها فتسمر من خلفها ، حدقت في عينيه :

ـ ماذا تريد ؟ ألا تدعني وشأني ؟ .

ورغم أن مسعود لم يتكلم إلا أن مسعودة سمعته يهمس :

ـ إنني أحبك يا مسعودة . . . أحبك . . . إسألي أختي . . . إنني أحبك . . .

ونزلت كلماته برداً وسلاماً على مسعودة ، لكنها اضطربت فقررت أن تتركه وتمشي ، ومشت وخال

---

(1) أحزان / قصة لمسات الهوى ص 60

في ملامحهـا أمـلاً ضئيلاً فتشبث به ، تعلـق بالقشـة ، مشى من ورائهـا صامتـاً ، لاحـظ أن الطريق يقصر ويقصر ، همس :

ـ مسعودة . . . ألا تحبينني ؟ . . ألا يمكن أن نلتقي ؟)) [1].

* * *

((اليوم آخر أيام خروجها ، لن تراه بعد اليوم أبداً ، سيقذف بها خلف الجدران بمجرد إحضارها شهادتها من المدرسة ، لن تراه عيناها طيلة ثلاثـة أشهر مملة حارة . . . سيجنـي على الحـب الـذي عاش عارمـاً في صدرهـا ثمانية أشهـر كاملـة ، سينتهي إن لم تقابله ، سيظن أنها تخلت عنـه ، أنها كانت تتخذه مطية لإضاعة الوقت ، ستحطم القلب الذي أحبهـا ، أعطاهـا الأمـل بعـد أيام

---

(1) أحزان / قصة مسعود يعاكس مسعوده ص 73

الخـواء المضـنية ، ثم ، عم ستحـدث جاراتهـا الشابات في أوقات الفـراغ الطويلـة المقبلـة ؟ . . ألف سبب يدعوها لأن تقابلـه ، تحدثـه ، تتفـق معه ، ثم إنها لا تأتي عيباً ، لا تفعل سوى ما تفعله الأخريات)) [1] .

* * *

((وشرع يحلم بينما كان يقف في وسط المربوعة منتصباً على قدميه ، ويتصور الزوجة الجميلة التي تستحي من ظلهـا إذا لاحقهـا في يوم مشـمس ، لكنها لا تستحي من زوجها حتى أنها تستطيع أن تقف في حضرتـه وتتحـدث إليه في فستـان عصري قصير ، الزوجة ذات العينـين السـوداوين اللـذين يستطيع أن يسبح فيهما بعينيه دون كلل ، بينما هي تسبل جفونها في حياء إذا التقيتا بنظرات غريب ،

---

(1) أحزان / قصة ممنوع الخروج ص 77

الزوجة ذات الأصل العريق ، والأخـلاق الرفيعـة والقلب الكبير)) [1] .

* * *

((ـ رأيتها صباح اليوم . . كانت تتمخطر بين رفيقاتها وكأنها ملكة . . . إلتقت عيناي بعينيها . . رباه . . إنكم لا تعرفون ماذا يحدث عندما تلتقي الأعين . . عيناها قالت إنها تحبني وتتمناني رفيقاً لحياتها وأبـاً لأطفالهـا . . إرتعشـت يداهـا حتـى كادت أن تسقط الحقيبة . . . تحركت بسرعة حتى لا أحرجها . . آه يا رفاقي . . . أنتم لا تعرفون روعـة الخفقـةالأولى. . .الخفقة البكر. .)) [2] .

* * *

---

(1) أحزان / قصة الاختيار، ص 77/87

(2) أحزان / قصة الخفقة البكر ، ص 93

((. . . دخلت السنة الثالثة الثانوية ، وبدأت أحب ، نعم أحب ، أحب شخصاً وهمياً لا وجود له في الواقع ، شاب غير واضح الملامح ، ولكنه رفيق مؤدب يحدثني عن الحب في لغة الشعراء ، يشبع أحاسيسي في غربتي بالحنان الذي حرمته ، أجد في اللجوء إليه خلال ليلي الطويل كل سعادتي ، أتنفس أنفاسه وألقى في ابتسامته الودودة حياتي ، وسخرت من نفسي ، من خيالي الذي يعالج وحدتي باختلاق حبيب لا وجود له ، ولكني لم أستطع أن أتخلص من حبيبي المجهول الذي ظل رغم كل عنادي يلاحقني حيثما حللت ومهما حاولت أن أنصرف بفكري عنه)) [1] .

إن الإحساس هنا يتوحد بين الذكر والأنثى ، تتوحد الأحلام ، يتوحد التفكير ، يقفان تجاه المشكلة متحدين ، يعتزمان المقاومة معاً ضد هذا القهر ، لكن موقف الذكر

---

(1) أحزان / قصة إعترافات جريئة ص 112

يختلف بمجرد أن يكون أخ أو أب الأنثى ، بل إن الذكر مستعد لإدخال أخته طرفاً في اللعبة عندما تتعلق بفتاة أخرى ((ورغم أن مسعود لم يتكلم إلا أن مسعودة سمعته يهمس :

- إنني أحبك يا مسعودة . . . أحبك . . . إسألي أختي . . . إنني أحبك)) [1] .

بل وتمضي الأحلام تداعب الرأس في غيبة كل العقد ((وتدفقت دماء الحياة في عروقه من جديد وطغت السعادة على مشاعره فكاد أن يضحك وسار في خطوات خفيفة غير عابىء بشيء ، فالحياة هي التي يعيشها داخله ، أما ما يحدث خارج ذاته فهي حياة الآخرين وحدهم ، وتمنى ألا يلتفت الناس إلى غير أنفسهم حتى يتمكن من لقاء نعيمة كيف شاء ومتى شاء وأين شاء)) [2] . . . هذا عندما يكون الأمر

---

(1) أحزان / قصة مسعود يعاكس مسعوده ص 72

(2) أحزان / قصة لمسات الهوى ص 58

متعلقاً بالآخرين ، أما عندما يكون متعلقاً بنا فإن الحالة تتغير وتبرز جميع العقد .

جميع الأفكار والأحلام ، الصدام الذي يصل أوجه مع المجتمع في علاقة الذكر بأنثى أخرى، يصبح حجراً في الجدار الصلد الذي بني خلال عشرات السنين . . .

((. . . قبضت أصابع متخشبة على عنقها ، وجرتها يد قوية إلى الخلف ، وبردت أطرافها وخارت قواها ، واستسلمت لقدرها ، وجرتها اليد إلى وسط الحوش ، إنهالت لكمات محمود القوية حيثما اتفق ، وتقبلت ضرباته دون أن تفر من عينيها دمعة أو يصدرعنها صوت ، وأشفى محمود غليله لكماً وركلاً ، ولملمت نفسها عن الأرض في إعياء ولاحقتها كلماته الجارحة الغاضبة . .)) [1] .

* * *

((وتنبه مسعود فانفلت يجري ، وتنبهت

(1) قصة أحزان اليوم الواحد ص 40

مسعودة فنكست رأسها ، ودفعها والدها العجوز بعكازه فمضت كشاة تساق إلى المذبح .))[1] .

* * *

((وأبـي ... وأمـي ... عمـي ... خالي ... كلهم يطيبون خاطره ويعدونه بأنني لن أرى النور أكثر مما رأيته ، وكرهت الطفل الـذي يريد أن يصنع من نفسه رجلاً على حسابي ، كرهته أكثر مما كرهت الجميع ...))[2] .

* * *

((... وحالت الدموع بيني وبين وجه أمي الذي خلته ملطخاً بدماء أبي ، وضربت أول بذرة كراهية حقيقية جذورها في أعماقي ؛ وانسحبت إلى المربوعـة أجـر أحزانـي ، وارتميت على السرير وانتحبت كثيراً وتمنيت أن يعـود أبـي إلى مملكتـه

---

(1) أحزان / قصة مسعود يعاكس مسعودة ص 73

(2) أحزان / قصة اعترافات جريئة ص 113

ويعفيني من هذه الهموم)) [1] .

ونتيجة لذلك كان لا بد أن تكون هناك تحوطات أمان تجاه أي علاقة حب قد تنشأ بين ذكر أو أنثى ، فما دام مفهوم عفة الأنثى مرتبطاً بجهازها التناسلي ، لا بد أن ترتبط أي علاقة بين ذكر وأنثى ، بمفهوم الجنس ، فذلك المفهوم الذي يستطيع الإنسان التحايل عليه بأكثر من طريقة لا يمثل إلا جزءاً من مشكلة ترتبط بالتفكير أكثر من ارتباطها بالسلوك المنحرف .

فالمحاسبة تتم للأنثى دون الذكر ، الطرفان شريكان ، لكن من يتعرض للمساءلة هي الأنثى ، بالرغم من أن (خرق العرف الاجتماعي) لا يتم من طرفها هي فقط ، لا تستطيع أن تقوم به هي فقط ، كما أن دوافع الاغراء تأتي دائماً من جانب الذكر ، ودفع الأنثى للانحراف يأتي دائماً من جانب الذكر . . . [2] .

(1) أحزان / قصة شحنات الكراهية ص124

(2) قصص / مسعود يعاكس مسعودة / مريومه تغمز الحصان / شحنات الكراهية / بندول الزمن / ربما تشرق الشمس غداً .

تقوم تحوطات الأمان التي يتخذها الأنثى والذكر بدور الستار الذي يخفي كل ما يحدث ، كالبحر ، يبدو سطحه هادئاً وأعماقه تغور وتدور .

((وارتعشت أصابعها بينما كانت تفك أزرار الفستان لتخلعه وتعيده إلى مكانه في الدولاب ، كان عليها أن تضحي وتحتمل ، وعلى سالم أن يفعل ذات الشيء في سبيل أن يظل حبهما سراً لا تضلله سحابة شك ، فالمواجهة المدعمة بفهم العجائز للعاطفة البريئة التي تربطها بسالم وما يلي كل ذلك من تطورات قد تؤدي إلى قتلها إن لم تضطرها إلى الانتحار هرباً من سوء المعاملة التي سيتفق الجميع على مضايقتها ومعاقبتها بها . . إنها أمور يجب أن توضع في الحسبان)) [1] .

* * *

---

(1) أحزان / قصة بعض من تصورنا ص 10

((ـ اسمع يا أحمد . . . إنني أقدر لهفتك على رؤيتي لأن نفسي تجيش بذات القدر من اللهفة ولكنني أخشى كلام الناس . . . أخشى أن تتناولنا ألسنتهم القذرة . . . إنني أرجوك يا أحمد أن تمتنع عن المرور من شارعنا . . .

ـ ولكن . . كيف أراك يا نعيمة . . إن أنا. .

ـ سنكتفي بلقاء واحد في الأسبوع . . . ستجدني عشية كل يوم جمعة عند ضريح المرابط . . . إنني أزور وأمي ضريحه عشية كل يوم جمعة)) [1] .

* * *

((وأفاقت ، وأدارت رأسها مفزوعة كأنها لم تكن تنتظر منه أن يأتي ، ولكنه أتى بالفعل ، كان يبدو منسجماً وسيارته الصغيرة المتمهلة في سيرها موازية للرصيف ، وخافت أن ينتبه المارة ،

---

(1) أحزان / قصة لمسات الهوى ص 55

فأشاحت له بيدها راجية إياه أن ينصرف » [1]

* * *

((ومشى في اتجـاه الشـارع الـذي تقيم فيه خيرية ، وما لبث أن وصله ، ولاحت كما توقع على عتبـة البيت محتضنـة حقيبتهـا المدرسية فارتجف ، وأحس بأن شيئاً معلقاً في داخله يقع ، وبسخونة تتخلل كل ذرة فيه ، وكاد يعدل عن رأيه ويعود ، ولكنه عاد فقرر أن يسير في طبيعية ، تماماً كما كان يفعل كل يوم ، وتحركت قدماه مرغمة فيما انتبهت حواسـه إلى جميع ما يحـدث حولـه من أصـوات وحركات ، وتضاعفـت دقـات قلبـه وكاد يسمـع نبضاته من خلال تدفق الدماء في عروقه ، ووجـد نفسه على بعد خطوات منها ، ورأى أن يلتفـت وينفذ خطته ولكنه خاف إن فعل أن تؤول من قبل عابـر خبيث ، وألحـت عليه فكرة أن يسلمهـا

(1) أحزان / قصة ممنوع الخروج ص 81

الرسالة بعد أن تكبد ثمن المحاولة وحتى لا يكون احتراقه الذي شهدته لحظات توه احتراقاً مجانياً غير مثمر،وخاف مما سيلحق سلبيته من توابع الندم والعذاب والخيبة ، وامتدت يده إلى جيبه وأخرج الوريقة بأصابع ترتعش ورماها بين قدميها وكأنه يتخلص من كل عذاباته)) [1] .

* * *

((بدأت أقف خلف الباب وأراقب ابن الجيران العبيط الذي ظل يغازلني منذ شهور ، بدأت أمنحه الابتسامات وأغذي مراهقته بالاشارات ، وبدأ الشاب يتسمر بالساعات الطويلة على عتبة الباب ، متودداً ، متقرباً ملوحاً بين الحين والآخر بقصاصة في يده ، وكنت أكرهه ، لم يكن حبيبي الذي حلمت به في خيالي ، كان مجرد إنسان تافه يبحث عن امرأة ،

---

(1) أحزان / قصة الخفقة البكر ص 100 / 101

عن شيء يشغل به فراغه ، عن قصة يرويها لأصدقائه)) [1] .

وعندما تنكشف تحوطات الأمان ، عندما يجد الانسان نفسه أمام الواقع ، أمام الصدام الذي لا بد منه ، تقدم موعده أو تأخر ، الصدام الذي يتم فيه تحدي إرادة المجتمع ، عرفه ومثله وقيمه ، يهرب الذكر وتبقى الأنثى لتواجه المحنة ، تبقى عانساً . . . [2] . أو يأخذها والدها [3] ، أو الشرطي [4] إلى الطبيب لكي يثبت عذريتها من عدمه ، أو استصدار شهادة من الطبيب موقعة من شيخ المحلة بأن فقدانها لعذريتها كان نتيجة القفز من فوق كرسي [5] .

أما ما يقوم به الذكر فلا يتعدى الامتناع عن الزواج [6]

---

(1) أحزان / قصة إعترافات جريئة ص 113
(2) قصة أحزان اليوم الواحد .
(3) أحزان / قصة مسعود يعاكس مسعودة
(4) أقوال / قصة بندول الزمن
(5) أحزان / قصة إعترافات جريئة
(6) أحزان / قصة الاختيار

أو الحصول على جثة امرأة شرب من مائها غيره قبله [1] .

إن وضع الأنثى في كفة ووضع غشاء البكارة في كفة أخرى ، على اعتبار التوازن القائم بينهما مفهوم غير سليم ، من الممكن التحايل عليه بكثير من الطرق ، وصيحات الأدباء والكتاب التي عالجت هذا المفهوم الخاطىء كثيرة ، نستطيع تلخيصها في أنه ليس من الضروري أن يدخل العريس غرفة عروسه ليلة الزفاف بـ (أصبع مجروح) [2] .

* *

بالرغم من الاهتمام الذي أولاه القصاص (محمد علي الشويهدي) لصراع الفرد في المجتمع ، فإننا نلمح البوادر الأولى التي غرست فيما بعد تفكيره حول الموت في مجموعته الأولى (أحزان اليوم الواحد) . . . لتزداد

---

(1) أحزان / قصة إعترافات جريئة

(2) الأصبع المجروح: قصة قصيرة للمرحوم خليفة التكبالي .

تلك البوادر وتتخذ سمة غالبة في (أقوال شاهد عيان) . . . علماً بأن هناك أربع قصص [1] في (أقوال شاهد عيان) تعتبر - حسب تواريخ كتابتها - ملتصقة بالمجموعة الأولى وضمن نفس الاطار ، أكثر منها بالمجموعة الثانية .

نجد أمامنا مجموعة عناصر تدور الشخصيات القصصية في فلكها . . الزمن والاحساس به . . التشائم . . المزاوجة بين الحياة والموت واليأس والرجاء . . ثم الموت كحل نهائي ، فالإحساس بالزمن يلعب الدور الرئيسي في صياغة سلوك الشخصيات ، وما يترتب على ذلك من أحداث . . .

إن إحساس حليمة بالزمن ، وبأنها أصبحت عانساً ، وإحساس الأسرة والآخرين أيضاً ، هو الذي خلق لديها الطاقة على احتمال الاهانة والقيام بأعباء البيت كاملة ، وهو الذي خلق لها الجرأة لتفتح الشباك وتستجيب لمعاكسة

---

(1) القصص هي : حب شديد الوطأة / دموع طفل لا يعرف الموت / تساخير / سيدي معتوق .

الشاب [1] وإحساس الحاج مسعود وزوجته بأن الباقي من حياتهما قليل هو الذي دفعهما لعدم تكذيب اللص الشاب حين ادعى أنه ابنهما ، فخلصاه من الشرطي واستضافاه ثم فكرا في تبنيه [2] .

وعندما عرف الطالب بأن الفترة الزمنية المخصصة للاجابة قد قاربت على الانتهاء زادت جرأته في محاولته الغش أثناء الامتحان [3] .

ومعرفة سالمة بأن أمامها ثلاثة أشهر ستمر دون أن ترى حبيبها هو الذي أعطاها الشجاعة لتفكر في الركوب معه في سيارته وجعلها تحاول تنفيذ ذلك [4] .

وإحساس الشاب بأنه كبر وأن عليه الاعتماد على نفسه هو الذي جعله يهجر الدراسة ليبحث عن عمل ، ثم يبحث عن عروس ، ليخضع لمعادلة اختيار بين مجموعة فتيات

---

(1) قصة أحزان اليوم الواحد .
(2) أحزان / قصة الحاج مسعود .
(3) أحزان / قصة اللحظات الحرجة .
(4) أحزان / قصة ممنوع الخروج .

عرضتهن عليه أمه [1] .

ثم بقاء أحمد خمساً وعشرون عاماً دون أن يخفق قلبه بالحب هو الذي دفعه لأن يقـرر أن يحـب ، ويشرع في تنفيذ تفكيره [2] .

كما أن إحساس مريومه بأن الزمن يبعد بينها وبين وفاة زوجهـا وينـال من شبابهـا هو الـذي يدفـع بهـا للانحـراف [3] . . . وبـالأم إلى الـزواج من جـديد [4] وبحياة إلى دوامة الجنس التي غرقت فيها [5] .

وكذلك كانت حالة الشاب عند وصوله إلى وطنه ، لقد محت فترة غربته كل أحزانـه وقهـرت إحساسـه الـرهيب بالظلم [6] .

---

(1) أحزان / قصة الاختيار .
(2) أحزان / قصة الخفقة البكر .
(3) أحزان / قصة مريومه تغمز الحصان .
(4) أحزان / قصة شحنات الكراهية .
(5) قصة أقوال شاهد عيان .
(6) أقوال / قصة حوار مزدوج .

والاحساس المشترك للحاج عثمان والخالـة مبـروكه ، بالوحدة وضنك العيش هو الـذي جعلهما يفكران في الزواج [1] .

وفاصل العمر مع المظهر الشكلي للتطور الحضاري في المجتمع هو الذي خلق ذلك التناقض في التفكير بين سليم ومجموعة الشباب [2] .

وأخيراً نجد أن الفترة التي مضت على وفاة والد حكيم جعلته ـ برغم أنها تقل عن الأسبوع ـ يغير ترتيب أفكاره لتنفيذ مشاريعه المعلَّقة [3] .

وفي كل تلك الحالات نجد أن الموت كحقيقة مرتبـط بالحياة كحقيقة أيضاً . إن الكاتب هنا قد يعبِّر عن لحظات نفسية معينة لا يجد فيها أمامه حلاً إلا الموت ، لكننا أيضاً نجد أن مزاوجة الحياة مع الموت هي التي تفرض نفسها برغم تلك الحالات النفسية السوداء .

---

(1) أقوال / قصة زغاريد الملائكة .
(2) أقوال / قصة ربما تشرق الشمس غداً .
(3) أقوال / قصة الرجل الذي مات .

يجثم الموت على صدورنا ، يملأنا الاحساس به ، نتوقع حدوثه في أي لحظة ، لكنه لن يستطيع أن يوقف دوران الدولاب ، ولا أن يدمر الانسان ، ولا أن يحد من طموحه ، أو طموح من يمثله أو يحل محله .

قد يكون الموت حلاً نهائياً لبعض الشخصيات ، لكنه أيضاً بداية لأشياء أخرى ، لمواصلة مسيرة الإنسان وتحديه ، ذلك أن الموت ليس وحده . إنها دائماً عملية المزاوجة بين الموت والحياة ، بين الماضي والمستقبل ، بين اليأس والرجاء . . .

لقد مات سعيد ، لكن مشاعر زوجته هي التي تدفعها للتفكير في الزواج برغم كراهية وحيدها لذلك [1] . . . فهي إذن تبدأ حياة جديدة .

وماتت حليمة في حالة الوضع لكن الوليد نجا ، وسيبدأ حياة جديدة [2] .

---

(1) أحزان / قصة شحنات الكراهية .

(2) أقوال / قصة بندول الزمن .

ومات الأب ، ولكن ذلك لم يمنع حكيماً من التفكير في تحديد موعد الزواج ، وهو مشروع حياة جديدة [1] .

ذلك عندما يكون الموت مادياً ، أي عندما يرتبط الموت بوفاة إنسان ما ، في زمن ما ، في مكان ما ، لكن الموت عندما يكون معنوياً ، أي إستمرار حياة الإنسان الفعلية ، بينما يموت من الداخل ، يموت الإحساس ، ويموت الأمل فإن الأمر يختلف .

إن بقاء حليمة عانساً دون زواج [2] وحرمان الحاج مسعود وسي معتوق من الذرية ، هو موت لهم من الداخل ، لانتفاء صفة البقاء لهم مستقبلاً فيمن يمثلهم ، وبذلك تنتفي المزاوجة بين الحياة والموت في هذه الحالات لأنه لا يوجد مستقبلاً من يكون امتداداً لحيوات هؤلاء الأفراد .

فنظرتنا إلى الموت واقعياً من خلال الحالات السابقة تمثل

---

(1) أقوال / قصة الرجل الذي مات .

(2) قصة أحزان اليوم الواحد .

عدة أشياء ، إن موت الرجل يشكل فقدان الحماية بالنسبة للمرأة ، وفقدان الأمن بالنسبة للأطفال ، كما أنه يمثل نهاية حقيقية ، وليس نهاية يتلوها بداية بفرد آخر ، إذا اقترنت حالة الموت بعدم وجود نسل .

ولعلنا نستطيع ترتيب فعل الزمن عند مختلف الشخصيات القصصية لدى (محمد الشويهدي) لكننا نصل دائماً إلى نهاية واحدة ، مهما كانت طبيعة الفعل تلك ، أن يبدأ الانسان حياة جديدة من واقع استفادته من الأحداث الماضية ، من واقع أن الزمن أصبح يشكل خلفية لصياغة حياة جديدة ، تأسيساً على حياة قديمة ، النسيان ، تدارك الأمر بصنع ما لم يتم صنعه في السابق ، الاستفادة مما تم صنعه في السابق لغرض آني أو مستقبلي .

فالزمن ، سواء كتعبير قصصي عند (محمد الشويهدي) . . . أو كواقع ، هو في النهاية إشعار بقرب نهاية الرحلة ، رحلتنا ، لتبدأ رحلة الآخرين ، قد تكون مدعومة برصيد من المعرفة يوحي بتجاوز الأفعال السابقة والانطلاق من نقطة متقدمة ، وقد يوحي بمواصلة

الطريق من نفس النقطة التي انتهت إليها الرحلة الأولى ، وقد يلغى ذلك كله لتبدأ الرحلة من جديد . . . من نقطة الصفر .

* * *

فما هو الهاجس الذي يسيطر على (محمد الشويهدي) لتبدو صور الموت والتشاؤم واضحة وكثيرة في قصصه ؟

إن ذلك يتضح لدى القصاص من خلال انتقاله من العموميات (المشكلة الاجتماعية) إلى الخصوصيات (المشكلة الحضارية) كخيط رئيسي في التفكير ، لسرعة حركة سير المجتمع بما يضفي إحساساً لدى الكاتب بأن هموماً حضارية جديدة طرأت ساهمت في حل إشكالات إجتماعية قديمة ، وطرحت بدلاً منها إشكالات حضارية أخرى . .

((قال محمود :

ـ سأزورك غداً في مكتبك .

إبتسم سليم معتذراً :

ـ لكنني لن أكون غداً في مكتبي . . سأساهم مع إدارتنا في حملة التشجير في سهل الرجمه .

قال ذو الكعب العالي :

ـ حسناً تفعلون . . بعد أن تنمو أشجاركم ، لن نضطر إلى توكره من أجل خلوة مع فتاة »[1] .

إن العمل الواحد يستفيد منه طرفان ، نقيضان في التفكير ، نقيضان في السلوك ، وهذا هو ما يخلق تلك الهزة في وجدان الانسان ، وهذا ما يخلق ذلك التذبذب وحالة الفوضى الفكرية في المجتمع ، ويعيد على أساسه المثقف ترتيب أوراقه ، ومحاسبة النفس والمجتمع وفق قيم أخرى ، قد تكون ناشئة ، قد تكون غريبة بعض الشيء ، لكنها تحتاج إلى الكثير من التركيز ، من التأمل ، ومن بعد النظر .

(1) أقوال / قصة ربما تشرق الشمس غداً ص 55

إلا أن ذلك لا يمنع من وجود أكثر من ورقة تحمل الأمل والاشراق ، وتفتح الطريق لممارسات بريئة وشريفة .

إن تبني الحاج مسعود وزوجته للشاب اللص [1] . . . وفرحة الموظف بابتسامة طفلته الحانية وفرحته بها وهو يفتح لها الباب [2] . . . ثم علو صرخة المولود إثر وفاة حليمة [3] . . . وتفكير حليم في الزواج بعد وفاة والده [4] . . . وتفكير الحاج عثمان والخالة مبروكة في الزواج أيضاً بالرغم من كبر سنهما [5] . . . وحب سي معتوق لأطفال المدرسة كأنهم أبنائه [6] . . . كل ذلك يوحي بومضات الأمل في ذهن الكاتب ضمن لحظات زمنية تتداخل مع لحظات اليأس والموت ، كمؤشر ينبىء عن الحالة النفسية القلقة . ويشير إلى أن الظروف الاجتماعية

(1) أحزان / قصة الحاج مسعود .
(2) أحزان / قصة الغصن والشجرة .
(3) أقوال / قصة بندول الزمن .
(4) أقوال / قصة الرجل الذي مات .
(5) أقوال / قصة زغاريد الملائكة .
(6) أقوال / قصة سيدي معتوق .

هي التي تخلق تلك التراكمات التي تزداد حدَّة يوماً عن يوم وعاماً بعد عام .

لكننا نلاحظ أيضاً أن ما يمثل الأمل كان في فترة زمنية ماضية ، يأتي بعده التفكير اليائس المتشائم ، ويأتي بعده الموت والخراب (1) .. ونستطيع أن نلمس الموقف الأخير للكاتب في وضوح ((قالت الأم وقد فرغت من الاستعداد للرحيل :

ـ قلت له منذ البداية خذ كرتك والعب . . . إعبث . . . ولا تكترث . .

قال الأب :

ـ كلتا الحالتين لعب . . عبث . . وفي كلتا الحالتين الوقت مهدور ومنته .

ثم قال للطفل :

ـ أما قصرك والمزرعة . . . دمرتهما موجة أو لم

---

(1) تحمل جميع قصص (أقوال شاهد عيان) تواريخ كتابتها ، وهي المقياس على هذه الظاهرة .

تدمرهما . . في كلتا الحالتين ستخسرهما . . لأنك سترحل . . سترحل يا صغيري)) [1] .

هل هي إسقاطات نفسية تولّى الكاتب عكسها في إنتاجه ؟ . . هل هو يقين أصبح ملازماً له تجاه ما حدث وما يحدث ؟ . .

إن الرحلة خلال النماذج الإجتماعية التي ظهرت أو تطورت مع حركة المجتمع هي التي تستطيع أن تعطينا تفسيراً لما حدث . . فالتطور الاجتماعي الايجابي يبرز في عدة عوامل . .

في ختان الأطفال بالمستشفى ، وفي الولادة على يد الطبيب . . . وفي الاقتناع بدور الطبيب في تشخيص المرض ووصف العلاج [2] . . وهو ما يقوي من مركز الطبيب الاجتماعي ، ويجعله يأخذ مكانه الصحيح ويؤدي واجبه، في ضوء الاقتناع من قبل كبار السن بالدرجة الأولى

---

(1) أقوال / قصة الموجة والرحيل ص 90

(2) أقوال / قصة بندول الزمن .

في عرض الأنثى مفضوضة البكارة على الطبيب من قبل الأب . . [1] . ومن قبل الشرطي [2] . . للتأكد من ذلك ، ليكون المعنى جلياً في انحسار موجة قتل الأنثى إذا ارتكبت المعصية وانحرفت . . أو حتى مجرد الشك في ذلك ، ليبدأ دور العلم والقانون في إثبات الحالة أو نفيها ، ليكتسب القانون هيبة ، وتزداد أهمية الانسان كإنسان ، بغض النظر عن سلوكه وممارساته .

نلمح دور الانتماء للوطن وفعاليته في احتمال المواطن للظلم والقهر من خلال تجربة الغربة بحثاً عن الحب والكرامة والأمن [3] .

ونجد من يساهم في بناء الوطن بتعليم الأمين وغرس الأشجار والالتزام بالقيم [4] وفي الطرف النقيض من ذلك نجد من يعيش الحياة الماجنة ويستهتر بجهود الآخرين في البناء استهتاره بكل القيم والأخلاقيات [5] .

---

(1) أحزان / قصة مسعود يعاكس مسعودة .

(2) أقوال / قصة بندول الزمن .

(3) أقوال / قصة حوار مزدوج .

(4) (5) أقوال / قصة ربما تشرق الشمس غداً .

ونتابع المراهقة الصغيرة تستجيب لأول معاكسة وتنتقل من سيارة لأخرى تحمل تجربة إمرأة في الأربعين [1] .

ونجد التكالب على المادة ولـو كان ذلك على حسـاب الصحة والأسرة والكرامة [2] ، كما نجد من يتملكه الشره والشبق ، فيأكل الشطيرة بالفم وساقي الفتاة التي ترتدي لباس البحر بعينيه [3] .

كما نلمح الشاب المتعلم عندما يتوسل إلى قلب حبيبته بالسحر والشعوذة ، عندما يفشل في جعلها تفهم حقيقـة مشاعره [4] .

وهكذا تتغير الظواهر الاجتماعية بين سلب وإيجـاب ، لتبرز ملامح التطـور الاجتماعـي في السلـوك والمفـاهيم ، يلمسه الكاتب ، يعايشه ، بمقدار أكبر من الحسـاسية ، وقدرة أكثر على الاستقراء من خلال تصوُّر وفهم الحاضر ،

(1) أقوال / قصة ربما تشرق الشمس غداً .
(2) أقوال / قصة الثمن .
(3) أقوال / قصة ربما تشرق الشمس غداً .
(4) أقوال / قصة حب شديد الوطأة .

تكون النظرة المستقبلية الشمولية ، ومحاولة صياغة هذه النظرة في إعطاء إشارات الخطر مرة وفي إعادة بسمة الأمل ، واضفاء البهجة والمرح على الحياة مرات .

* * *

لا يمكن إطلاقاً أن نجد لدينا محتوىً أدبياً جيداً كمعنى ، بدون أن يكون هناك اهتمام بوسيلة إظهار هذا المعنى ، أي بإعطائه شكلاً جميلاً يتفق مع المضمون الجيد ، يجب أن يكون بناؤه جيداً ، وأن يكون شكله جيداً أيضاً .

والمطب الذي يقع فيه (محمد الشويهدي) هو عدم امتلاكه لأسلوب العرض الجيد (الشكل) أحياناً ، وعدم امتلاكه للأسلوب الفني الجيد (بناء الشخصيات) أحياناً أخرى ، ذلك أن (محمد الشويهدي) يعتمد على الزخرفة اللفظية ((قلت في خاطري ، ها قد أنجب القهر غضباً دافقاً ، وتلاشت لوحة استسلامي للصمت والظلام في ليل المدينة ، وصرت كبيراً كالبحر في مقاومته الرائعة ،

وقلت في خاطري أيضاً ، حيث أن الرؤيا وضحت تماماً أمام بصري، فلا بد أن أشد بقبضـة قوية زمام الفعل وأرسم بريشـة الارادة لوحـة مقاومـة إيجابية لأصير أكبر من البحر الكبير حقاً)) [1] .

ومع الزخرفة اللفظية يفلت الزمام منه أحياناً ليكتب بذلك الأسلـوب الحلمنتيشي. . أسلـوب حافـر الحمار ((وابتسم الرجل المنفوش ففضح أنيابـه الصفـراء وحـك رأسـه ، وبـدا في هيئـة الرجـل المخـدوم الطيب ، وفكر مليئـاً ثم ولـد فأراً ، وهـز رأسـه متنكراً ، ثم انفجـر ضاحـكاً حتـى دمعـت عينـاه اللتـان سيأكلهما الـدود والتـراب ، ومضى أكبـر الصغار إلى مريومه التي كانـت تنتظـر فجـر اليوم التـالي في ظهـر اليوم الأول / وفهمـت مريومـه ، ومات أبو الأولاد في العام الثاني ميتتـه الأخـيرة ، وحدَّقت مريومـه في الفـراغ بعينـين مكحولتـين ،

(1) أقوال / قصة حوار مزدوج ص 15

وغمزت الحصان، أجل غمــزت الحصان [1].

* * *

((وداخلي حتــى القــاع كان خالياً تماماً من أية ومضــة ، أي أنــه كان مظلماً على نحــو رهيب / بدت لوحة استسلامي تلك موحشة جداً ، موغلـة في الكآبة على نحو قاتل / وعلى نحو ما رأيت وجه حبيبتي الذي كان ضحوكاً ثم تلاشت الصورة من أمامي فيما بقيت أحدق عبر الأفق بعينين زجاجيتين اغرورقتا بالدموع / ولا حين اشتقــت على نحـو عنيف إلى تلك الطمأنينة الرائعة / وعند هذا الحد بالضبط إرتعدت وكأنني اكتشفت على نحو مفاجيء أن كارثة ما قد حلت بي / وعلى نحو ما داهمتني رغبة مفاجئة في النحيب)) [2].

كما نحس الاطالــة والتــكرار عنــد (محمــد

---

(1) أحزان / قصــة مريومـه تغمـز الحصــان ص 103 ، 104 ، 105 ، 106 ، 108

(2) أقوال / قصة حوار مزدوج ص 14 ، 15 ، 16 ، 17

الشويهدي) بدلاً من الاعتماد على التركيز والتكثيف والجمل السريعة الإيقاع ، وهذا نتيجة مباشرة لإكثاره من استخدام أدوات الربط وحروف العطف وأدوات الاشارة والجمل الإعتراضية .

إلى جانب ذلك نحس ركاكة الأسلوب في بعض الفقرات ((إغتصب ابتسامة فدفع بها إليها)) [1] . . ((ويقبع اليأس في صميم نفسي ، ويثقل عليها حتى أكاد أحس بمركز الثقل في ذاتي)) [2] .

كل ذلك يساهم في عدم وصول العمل الأدبي إلى أوجه ، وفي عدم تلقي القاريء له بالصورة المفترض أن يتقبلها بها .

ويفترض (محمد الشويهدي) تقبل القارىء ما يعطيه له دون أن يحفزه إلى التأمل والتركيز ، فمع

---

(1) أحزان / قصة رحلة الأحلام ص 18

(2) أحزان / قصة الغصن والشجرة ص 24

استخدامه للسرد والرواية وسيلة لعرض أفكاره يلجأ إلى إخضاع الرواية للإخبار وليس للإستنباط ((الصمت يجثم على ليل المدينة ، كذلك فعل الظلام مبكراً ، لكن البحر وحده تمرد إذ تميزت صفحات أمواجه لرصيف الميناء بصخب يمتد لمرات متكررة ، أيضاً ، بدا سطحه المترامي وكأنه طبق من نور ، ذلك ، لأن نجوم تلك الليلة رصعته فكسته بأضوائها الفضية حتى بدا ـ لو تأملته ملياً ـ يقاوم الظلام في بطولة وصبر رغم سحابات الصيف الصغيرة التائهة في سماء المدينة ، ويأنفه ، شأنه في تمرده على الصمت الرهيب)) [1] .

يقدم لنا القصاص هذا الوصف ، ثم يذكر بطل قصته أن ذلك هو ما كان يحدث خارجه ليعطينا فكرة عما يحدث داخله ، مع أن في الإمكان ـ من خلال هذا الوصف ـ أن يستنتج القارىء أن الشخصية تعيش قلقاً ووحشةً وكآبة .

---

(1) أقوال / قصة حوار مزدوج ، ص 14 ، 15 ،

كما يلجأ للإخبار عن طريق السرد في الوقت الذي كان من الممكن فيه أن يجعل الشخصية نفسها تسترجع الأحداث عن طريق الاسترجاع (الفلاش باك) أو التداعي الحر للخواطر ((وعادني ذلك المشهد المأسوي الواقع على بعد ثمانية عشر شهراً عندما حزمت حقيبتي وأخبرتها في اقتضاب برغبتي في الرحيل إلى أية مدينة تطعمني كعكاً وتسقيني كرامة وتلبسني حريراً وتسكنني قصراً وتمنيت عليها أن تلحق بي ، لكنها بكت وتمنت لي حظاً موفقاً حيث أنها لم تعتد أن تعترض مشيئتي أبداً ، إلا أنها أخبرتني بأنها لا تستطيع أن تلحق بي ، بينما ستظل وفية لحبي حتى أعود)) [1] .

ومن خلال السطور الأولى يخبرنا القصاص بهوية من ستتعرف عليهم في القصة ، ويطرح أمامنا كل أوراقه دفعة واحدة ((ورمى بالكيس الذي يحمله إلى أكبر الأطفال سناً ، وفلت مندفعاً صوب حجرته دون

(1) أقوال / قصة حوار مزدوج ص 14 ، 15 ، 16

أن يفتقد عصاماً أصغر أطفاله الذي ينام في فراشه مريضاً ، وصرخ بأعلى صوته منادياً زوجته / يتأخر قليلاً ؟ يا للمصيبة . . . إنني على موعد لتوقيع عقد . . عقد هائل لن يقل مكسبه عن عشرين ألف دينار . . . تصوري . . . ولكن كيف يتأخر الغذاء ؟ ألا تساعدينني ولو بالقليل)) [1] .

إن الأحداث القادمة في القصة ستعرّفنا على الشخصيات ، وبما يتخللها من سرد وحوار ومفاجأة ستكشف كل ما سبق للكاتب أن ذكره لنا في الأسطر الأولى من قصته ، فلماذا يتورط في كشف أوراقه ؟ . .

ويتدخل (محمد الشويهدي) في جوانيات شخصياته ووضعهم ((انتهت السهرة وتفرق رفاق الليل وتحرك أحمد يجر جسده النحيل في خطوات بطيئة إلى زنزانته الباردة وكلمات أصدقائه تدق في رأسه محدثة أصداء بالغة القسوة)) [2] .

---

(1) أقوال / قصة الثمن ص 22 ، 23

(2) أحزان / قصة الخفقة البكر ص 93

* * *

((وعاد سيدي الحاج عثمان يبتسم في قراره ، ذلك لأن رفيقته مضت هي الأخرى إلى ربها منذ سنتين ، ليرحمها الله ، لقد كانت حبيبة حقيقية ، منحته الحب في سخاء ، ومنحته الوفاء في غير ما تقتير ، عملت معه في الأرض ، وعملت من أجله في البيت ، وما انفرجت شفتاها أبداً عن ابتسامة إلا وكانت صدى لابتسامة بدت على شفتيه . . . أما الآن . . . فإنه يعيش في البيت الكبير وحيداً . . . بلا رفيق أو أنيس يمضي لياليه الطويلة الباردة في صقيع الريف وأيامه الشقية المضنية في الإشراف على العمل)) [1] .

* * *

((ونضحت عيناها بدمعتين حقيقتين بينما غاصت في قاع العمر السحيق تستعرض تلك السنوات القصية أيام كانت فتاة تزهو بزينة الحياة

---

(1) أقوال / قصة زغاريد الملائكة ص 42

الـدنيا ، الولـد والبنـت والـــزوج . . والشبـــاب والأحلام السعيدة بشيخوخة مرصعة بعـدد من مرات الحـج إلى بيت الله الحـــرام . . . أيام . . . بيه . . يا أيام العمر)) [1] .

كيف يتدخل القصاص ليعطي حكماً قاطعاً من خلال السرد حين يصف حجرة أحمد بأنها زنزانة ؟ وكيف له وهو يتخذ صفة الراوي أن يعرف حقيقة ما يدور في نفس الحاج عثمان والخالة مبروكة ؟ . . . إن هذا التدخل من طرف القصاص يظهر عجز الأداة التي استخدمها عن إيصـال مفاهيمه لمن يقرأ قصصه ، كما يشكل تأثيراً مبـاشراً على القارىء بتفسير سلوك الشخصيات وإضفاء الأحكام التي تخضعه لرأي الكاتب .

ويغفل القصاص الموازنة بين الزمن الروائـي والزمـن الواقعي ، ففي خلال سطر واحد فقط إنتقل القاص من سؤال أحمد لصاحب الدكان عن أسرة نعيمة إلى وجودهـا

---

(1) أقوال / قصة زغاريد الملائكة ص 43

أمامه [1] . . وفي خلال ثلاث ساعات فقط من مغـادرة الزوج لمسكنـه وعودتـه إليه وجـد ابنـه المريض قد مات والـكراسي مصفوفـة على رصيف العمارة والمعزون جالسون [2] .

إن (محمد الشويهدي) لا ينتبه ، إلى أن ما يمكن تحقيقه ضمن الزمـن الروائـي في لحظـة إغماض العينـين وفتحهما ، أو في ثلاث ساعات ، لا يمكن واقعياً ، لأن تعود الحبيبة من رحلتها إلى طرابلس وتلتقي به ، أو إتمام كل إجراءات المأتم ليعود فيجده جاهزاً .

كما يعتمد (الشويهدي) على الصدفة وعلى المفارقة كثـيراً ، إلى درجـة تصبـح فيهـا القصـة أشبـه ما يكون بالنكتة ، فبالصدفة يقع أحمد على صورة خيرية في المجلة ليقرر أن يحبها ويكتب لها رسالة ، ومـا يتلـو ذلك من أحـداث . . . ونحـن نكتشف أن ما حدث لسالـم في

(1) أحزان / قصة لمسات الهوى .

(2) أقوال / قصة الثمن .

الامتحان ليس سوى حلم [1] . . وأن أحمد قبضت عليه شرطة الآداب وهو يضع الرمل الذي أعطاه له الفقيه على عتبة منزل حبيبته [2] وأن الطفل كان يبكي لأن ابن الجيران هرب بكرته وليس حزناً على أبيه الذي خرجت جنازته أمامه [3] .

ولعل عدم المنطقية في سلوك الشخصيات من أبرز العيوب عند (محمد الشويهدي) فأحمد ونعيمة يقفان في الشارع يتناجيان على مرأى ومسمع من العيون والآذان الراصدة ، وهما اللذان اتفقا على اللقاء في المقبرة يوم الزيارة ، كمكان لا يخطر لأحد أن يلتقي به حبيبان ، حرصاً على عدم رؤية أحد لهما وانفضاح حبهما نتيجة ذلك [4] .

ومسعود الذي شاهد مسعودة تركب سيارة خاصة في أحد الشوارع الخلفية غابت عنه هذه المعرفة وهو يعاكس

---

(1) أحزان / قصة الخفقة الكبر .
(2) أحزان / قصة اللحظات الحرجة .
(3) أقوال / قصة دموع طفل لا يعرف الموت .
(4) أحزان / قصة لمسات الهوى .

مسعودة مع أن ذلك هو ما قد يكون حافزاً له لأن يواصل معاكسته حتى يتحصل من مسعودة على مثل ما تحصل عليه غيره [1] .

وما يثير الحيرة أكثر سلوك الفتاة المدلّلة وكل من ربطته بها علاقة [2] . . فإزاء تمردها واعتزام الأهـل منعهـا من الدراســة كان الأقــرب إلى ذهــن الأسرة ـ كأسرة ليبية ـ التخلص من مشاكلهـا بزواجهـا ، وإزاء عواطفهـا المتضاربـة بـين الحقـد والتشفي والاشفـاق ، يتسـاءل الانسان ، هل هي نزعة سادية أم ماسوشية ؟ أم أن تصرفاتها مجرد عناد يقودها لأحضان إبن الجيران ، لإخضاع أهلها وإذلالهم ، وإثبات أن رمز **العفة** الذي يرتعشون خوفاً عليه قد ينتهك بالرغم من كل تحوطات الأمن التي تتخذ من جانبهم . . وحالة الندم التي انتابتها بعد فض بكارتها هل كانت بسبب الخوف من النهاية التي صورها لها تفكيرها ، أم بسبب وقع الخطيئة في نفسها ؟ ثم خوفها من

---

(1) أحزان / قصة مسعود يعاكس مسعودة .

(2) أحزان / قصة إعترافات جريئة .

تكرار التجربة برغم زواجها من إبن عمهـا هل مبعثـه البحث عن لذة محرمة واستعذاب الخيانة أم هو عدم ثقة في النفس ؟ وكيف يتفق ذلك مع كل تصرفاتها السابقة ؟ وهل تكون عديمـة الثقـة بالنفس من تجـرؤ على سلـوك ذلك الطـريق الشائـك بمـا يمتلىء به من مخاطـر تصـل درجـة الموت ؟ . .

ثم . . ما هو موقف إبن الجيران الذي لم يعد له ذكر بعد ليلة الخطيئة تلك ؟ وهل من المعقـول أن يتحصـل شاب على ما تحصل هو عليه ثم لا يواصل ولا يصرّ على تكرار نفس التجربة ، وهو الذي كان مرابطاً أمام بيته طيلة شهور حين كان يغازل الفتاة بدون استجابة ؟ . .

إن سلوك الشخصيات يتخذ مساراً غير مقنع ، تهتز وتتذبذب وتضيع السيطرة من يد الكاتب لتخرج ملامحها غائمة ، وتصرفاتها غير مقبولة ولا مبرَّرة .

لقد كانت شخصية الفتاة المدللة ـ مثلاً ـ غنية بالمشاعر الانسـانية المتناقضـة والتـي كان في الإمـكان ـ لو امتلك القصاص أوراقه كاملة وعرف كيف يطوعها ـ الخروج منها

بعمل من أجمل الأعمال القصصية ، وليس كالنماذج الشاذة والمنحرفة والغريبة ما يعطي القصاص مجالاً أكثر لإبراز قدراته وتوصيل ما يريد قوله ، إنها شريحة إجتماعية نادرة تستحق الاهتمام .

وعلى الرغم من كل العيوب والأخطاء التي تبرز في الشكل والبناء لدى (محمد الشويهدي) فإنه يمتلك القدرة لأن يعطي ويضيف أكثر . عندما يحس ما يكتب ، ولا يكتب إلا عن قناعة ، ولعل في الفارق بين قصة (الحب في كل العيون) [1] وقصة (معاناة الطفل جبران) [2] . وهما آخر ما نشر من إنتاجه ، تعطي الدليل الصادق على ذلك .

---

(1) نشرت بجريدة « الأسبوع الثقافي » العدد 294 / 3 فبراير 78 م

(2) نشرت بجريدة « الأسبوع الثقافي » العدد 302 / 31 مارس 78 م .

صادق النيهوم وقصص الأطفال

نخّاس الثقافة (الأكاديمي)

الكتابة صدق ومعاناة . . . ومسئولية .

والكتابة للأطفال منتهى المسئولية لأنها تعطي تأثيراً سريعاً على عقول النشء ، تحاول أن تصوغ تجارب الحياة ومختلف العلوم والمعارف في أفكار مركزة ، وفي صياغة مبسطة ومكثفة وبطريقة تبتعد عن المباشرة ليكون استيعاب الطفل لها أكثر .

من هذا المنطلق يدرك الكثير من الأدباء صعوبة اقتحام هذا المجال فيكون تعاملهم بمنتهى الحرص حين يخوضون هذه التجربة .

وكانت الكتابة للأطفال إحدى محاولات (صادق النيهوم) الأدبية ، خاض التجربة منذ أكثر من عشر سنوات على صفحات جريدة (الحقيقة) فكتب سبع

قصص جمعت بعد ذلك في كتاب تحت عنوان (من قصص الأطفال)[1] .

ما الذي يريد (صادق النيهوم) أن يقوله لأطفالنا ، بعد أن أصبحت كتاباته تقليعة سيطرت على عقول العامة، وبعد أن خرج خلفه صف من (الكتبة) يبشرون بخلاص الثقافة الليبية على يديه ؟

من خلال أفكار ومضامين تلك القصص لا نجد إلا التفاهة وضحالة التفكير والضحك على العقول .

فأن (يقتبس) قصة (سيدنا يوسف) مع (عزيز مصر) ليعطيها معنى آخر . . . أو يمسخ الصور الجميلة في أذهاننا عن شخصيات شعبية من (جحا) إلى (أبو زيد الهلالي) و (الزناتي خليفة) إلى (الحسن البصري) . . . شيء قد يكون مقبولاً ، لو كان الهدف أن تحل قيم ومثل وأخلاقيات وسلوك جديدة أفضل من

---

(1) صادق النيهوم / من قصص الأطفال / منشورات جيل ورسالة / ط١ /72

أخـرى قديمة ، نريد أن يعرفهـا الطفـل ، ويفهمهـا ، ويسترشد بها في حياته ، لكن أن يكون كل ذلك في سبيل أن يلقن الطفـل ألفـاظ البـذاءة وعـدم احتـرام الأسرة ، ليعطي أفكاراً وقيماً معكوسة عن البشر فهذا هو المرفوض .

إننا لا نجد في هذه القصص إلا تحريضاً على فئة معينة من الناس ، وتزكية لسلوك وتصرفات أشخاص آخرين .

فمـن السحـر والشعـوذة واستطـلاع الغيب لمحاولـة مواجهـة الـكوارث الـطبيعية بإجـراءات مضـادة [1] إلى استغلال القوة العضلية للإنسـان ، ليس في إيجـاد عمـل أحسن وأنفع ، ولكن في الوصول للثراء السريع بالاعتماد على العضلات ، سواء بالعمل كمصارع لدى السلطان ، أو بمصارعة الجني ليحيل الملح إلى لؤلؤ [2] .

ومَن إقنـاع الطفـل بجـواز التوبـة حـين العجـز عن ارتكاب المعصية ، وبوجوب التنافس في سبيل الشر لإثبات

---

(1) قصة عن مراكب السلطان .

(2) قصة عن بائع الملح الطيب القلب .

ذكاء اللصوص وبراعتهم ، وبلاهة رجال الـدين [1] إلى إقناعه بصحة الأساطير عن (الذخيرة) والكنـوز المخبـؤة التي لا تكشف ولا تفك إلا بطلسم معين ، طفل في عينه علامة ينحر جوار الكنز المخبوء [2] ، ثم ترسيخ فكره أن المرأة هي أحقر إنسان في الوجود وأكثر شراً ودفعاً لارتكاب المعاصي من (إبليس) . . . وإظهار المجتمع مليئاً بالغش والنفاق والسرقة والمعاصي [3] . . . إلى جواز الاستيلاء على مال الغـير بدون حق ، والصراع على من يتفـوق في الشر وإيذاء الناس .

ومن خلال النماذج التي يقدمها (صادق النيهوم) للأطفال في قصصه نستطيع أن ندرك الكثير .

نجد نموذج البطل الفردي في هذه القصص ، تكريساً لفـكرة (السوبرمـان) ليس في فعـل الخـير والحض عليه ، ولكن في ارتكاب الشرور والمعاصي .

(1) قصة عن أحسن لص في المملكة .
(2) قصة عن النسر السحري الأبيض .
(3) قصة عن العظم وراقد الريح .

فالشخصيات الشريرة ، بما تمثله ، سواء في تكوينها أو سلوكها ، هي التي تنتصر وهي التي تجد المقابل المجزي ، عدا الشحاذ الضرير[1] الذي أفلت من براثن (صادق النيهوم) ليترك في الأذهان فكرة جميلة . . . أن للمدافع عن الأرض اتخاذ كافة السبل التي تكفل له حماية أرضه .

فالفقيه مثلاً ((وسأله السلطان بلهفة : والرجل الصالح ، يا جناب الفقي الرجل الذي قلت إنه يعمر قلبه الإيمان وليس للريح الساخنة عليه سلطان ، أين هو الآن ؟ .

فأطرق الفقي برأسه في تواضع برهة من الوقت ثم قال بصوت هادىء النبرات :

ـ لقد قرأنا يا مولاي في كتب السلف الصالح ، وسمعنا من الأسياد وأصحاب السر الأعظم أنه يصل إلى (جالو) قبل النكبة بسبع سنوات ، فانظر أنت بحكمتك من ذلك يكون .

---

(1) قصة عن قوت العيال .

وفهم السلطان إشارة الفقي ، وفهم أنه الرجل الصالح بلحمه ودمه))[1] .

* * *

((وكان الفقي يغمض عينيه ويحلم بأنه يطير مثل نسر كبير أبيض وكان يطوق عنقه بعقود الماس ويشبك الياقوت الأحمر في ريشاته ويصنع فوق رأسه تاج الأميرة الجنية ويطير في اتجاه الشمس . وكان الناس في سوق (الحداده) يقفون فاغري الأفواه ويشيرون إليه بأصابعهم ويصرخون بأعلى أصواتهم .

ـ هذا الذي كنا نظنه مجرد معلم للصبيان . . هذا صاحب السر الأعظم وحبيب الله .

وكانت بقية الطيور تسير في ركابه وتنحني له الأشجار والتلال وتزغرد النساء على طول المدى والقرى فيما يحوم بجناحيه الماسيين في أمواج النسيم

---

(1) قصة عن مراكب السلطان / ص 11

الحريري))[1] .

* * *

((كان ثمة فقي ذائع الصيت في جامع (الحداده) وكان يفك الرصيدة ويعلم القرآن للأطفال ويشفي من العقم وسائر الأمراض ويكتب أحجية المحبة ، وقد تبحر في علوم الأولين واغترف من أنهار الحكمة وعرف الأوراد السبعة وخبايا الجان ولغة الطيور وضرب الرمل))[2] .

إن فقيه النيهوم لا يمتلك فقط قدرات خارقة للطبيعة ، ولكنه يفوق في قدراته هذه قدرات الأنبياء ، حتى ليصفه بأنه (صاحب السر الأعظم) ليس ذلك تهكماً ولكنه فقط مجرد تقديم لشخصيته وإعطاء صورة عنه .

أما القاضي ، رمز العدالة ، الممثل لأحكام الشريعة والقوانين ، فصورته كما قدمه لنا (صادق النيهوم)

---

(1) و (2) قصة عن النسر السحري الأبيض / ص 40 ، 41

تختلف تماماً عن صورة الفقيه الساحر ((ومد الشيطان عنقه لكي يرى القادم الجديد ثم سمع صوت امرأة تقول للقاضي بخفوت :

- هل تأخرت عليك يا فضيلة القاضي ؟

وقبلها القاضي في عنقها ثم قال ضاحكاً :

- ليس فضيلة القاضي ، دعينا من الألقاب ، قولي يا منصور فقط .

ومالت المرأة إلى الوراء وعادت تهمس بدلال :

- هل تأخرت عليك يا منصور ؟ . . أنت تعرف ، لقد كنت أخاف أن يحضر زوجي على حين غرة . إن أحداً لا يستطيع أن يتنبأ متى يحضر ذلك البغل ولكنه يبدو أنه اضطر للبقاء في السوق حتى يشتري نعجة العيد))[1] .

---

(1) قصة عن العظم وراقد الريح ص 60

القاضي عند (صادق النيهوم) ليس أكثر من زان . . . كاذب . . . مرتش . . . فما هي إذن صورة المسجد . . والمؤذن ؟ ((وقد تذكر اللص وجه المؤذن القبيح فيما كان ينطلق بهدوء حاملاً الياقوتة على صدره ، ولوح بيده في الظلام ، وبصق على الأرض ثم قال في ذات نفسه :

- إبتعد عن الجامع ، إذا كنت تريد أن تجد مكاناً آمناً حقاً ، إبتعد عن الجامع ، هذا ما أقوله لك . إنني لا أريد أن أسيء إلى بيوت الله ، ولكنها في الواقع ليست مكاناً آمناً ، هذا ما أقوله لك . إن الخلوة لا بد أن تضم مؤذناً ما يسارع إلى سلب ما تخبئه هناك . أو على الأقل يطالبك بأن تقسم معه . هذا ما أقوله لك . إبتعد عن الجامع ، وتعلم أن تخبيء مسروقاتك في مكان آخر))[1] .

---

(1) قصة عن أحسن لص في المملكة ص 35

مـاذا أيضـاً عن الزنجـي ؟ ((كان الفقــي يكره الزنـوج ، وكان على وشـك أن يطــرد تلك المرأة المزرية المظهر عندما رفع رأسه فجأة ورأى الخاتم العظيم يتوهج في عين الغلام مثل ماسة سوداء في عمامة القضاة . وقد خطر ببال الفقي أن الخاتم قد يكون عديم الجدوى لأنه في عـين زنجـي ، ولأن الكتاب لم يقل شيئاً عن العبيد . . .)) .

. . . .

((قفز قلب الغلام من الفزع وسأل الفقي عمّا إذا كانت بنت السلطان ليست سيدة شريرة مثل أية إمرأة بيضاء ، ولكن الفقي طمأنه في الحال وقال له إنها زنجية جميلة مثل القمر وإنها تخرج من باطن الأرض وترقص مع جواريها الـزنجيات على حافـة سور المقبرة طوال الليل .

قفز قلب الغلام من الفرح وسأل الفتى عمّا

إذا كان بوسعه أن يدعو أمه الزنجية الحافية القدمين لكي ترى معه أنه ليس كل الزنوج في مدينة بنغازي يعملون في بيع الحمص المشوي ، ولكن الفقي رفع يده في الحال وقال له مغلوباً على أمره إن ذلك مستحيل لأن بنت السلطان لا تظهر أمام أية إمرأة تبيع الحمص ،ثم طلب منه أن ينسى أمه الزنجية الحافية القدمين . . .)) .

. . . .

. . . .

((. . . . وعندما سأله الغلام عما دعاه إلى ذلك قال له الفقي :

- أيها العبد الصغير لا تضيع وقتنا في الثرثرة . .))[1] .

* * *

(1) قصة عن النسر السحري الأبيض ص 45 ، 46، 47

((كان في مدينة بنغازي زنجي عظيم طويل القامة يطوف أزقة الأحياء القديمة كل يوم وراء حماره المحمل بأكياس الملح ويضع أصبعه في أذنه وينادي بصوته الجهوري .. ملح .. ملح .

وكان الناس في بنغازي يدعونه عبد الملح ..))[1]

((أليسوا ... جميعاً ، أولئك الهلالية الجياع مجرد قطاع طرق ، وكذلك العبد السحار المدعو أبو زيد ؟ ..))[2]

الزنجي عند (صادق النيهوم) إنسان أبله موصوم بالقذارة والتخلف العقلي يضرب ويهان ، ويتقبل أحط الأعمال ، وهي أوصاف ونعوت قد لا تكون موجودة حتى لدى غلاة دعاة التفرقة العنصرية ، هل هي عقد تبرز على شكل إسقاطات ؟ وهل هذه العقد هي التي تحكم رأيه في

---

(1) قصة عن بائع الملح الطيب القلب / ص 17

(2) قصة عن قوت العيال / ص 83

المرأة أيضاً؟ . . ((وضحك الشيطان حتى كاد أن يسقط من فوق الجدار ولكن المرأة لم تضحك على الاطلاق ، لقد أطرقت برأسها برهة ، ثم لمعت عيناها فجأة وقالت بصوت منخفض :

ـ اذهب واسرق نعجة جارنا ، إنني لا أستطيع أن أحتمل رؤية امرأته العرجاء وهي تركب تلك النعجة العظيمة عبر الصراط فيما أمشي أنا على قدميّ ، أجل . إذهب الآن . هل تريد أن تتركني أضحوكة يوم القيامة ، يا مسعود بن تفاحة ؟)) .

. . . . .

((ولوح الحمال بيده وقال مكسور القلب :

ـ أجل . . . لقد سمعتها أنا أيضاً ، ولكن ذلك في الواقع كان جارنا بنفسه الذي وضعته إمرأته في السقيفة وجعلته يثغو طوال النهار . .)) .

((.. إنه لا يهمني أن تصدقني ، ولكن سأقول لك إن كل امرأة حافية القدمين في بنغازي قد وضعت في الجحيم أكثر مما وضعت أنت طوال حياتك مرتين على الأقل))[1] .

لعل الأسلوب الحديث في تربية النشء هو الذي أوحى للنيهوم أن يظهر المرأة في عين الطفل القارىء لقصصه . . . زانية ، كاذبة ، مشجعة على السرقة ، تقود النساء إلى الرجال ، بدل تلك الصورة المملوءة بالطهر والنبل والعفة والصفاء ولعل ذلك أيضاً ما جعله يعطي تلك الصورة القذرة لمعاملة الزوجة زوجها ((.. لكن زوجته لم تكن تحب أحاديثه . وقد تعودت أن تقول له إنها تعبت من الفقر وحكايات بائع الملح ، وإنها تتمنى لو سخَّر قوته التي تفوق قوة البغل في البحث عن حرفة أخرى . وكانت تقرعه كل يوم ، وتعيّره بأخيه الذي أصبح أعظم مصارع

(1) قصة عن العظم وراقد الريح / ص 59 ، 57 ، 53

في ديوان السلطان . وكانت تقول له إنه مجرد بغل أسود يجر أحمال الملح)) . . ((في تلك اللحظة أحس الزنجي بركلة في ظهره ثم فتح عينيه ورأى امرأته تقف غاضبة فوق رأسه ، وقد ركلته مرة أخرى ، وقالت له إن الشمس قد وصلت إلى منتصف الحائط ، ثم شرعت تعيره بكسله وتندب سوء حظها)) . . ((ولأول مرة نهضت امرأة الزنجي في الصباح ووجدت أكياس الملح التي أعدتها في اليوم السابق ما تزال فارغة ، وقد انطلقت غاضبة إلى فراش زوجها وطفقت تركله في ظهره وتصرخ بأعلى صوتها لكي توقظه ثم شرعت تعيره بالسكر وتسكب الماء فوق رأسه وتندب سوء حظها)) . . ((وعندما استيقظ في نهاية المطاف كان منتعشاً ولكنه كان جائعاً إلى حد لا يصدق ، وقد جاءته امرأته على الفور وبصقت فوق وجهه ثم جلست بجانبه وطفقت تندب سوء حظها))[1] .

(1) قصة عن بائع الملح الطيب القلب / ص 18، 21 ، 23 ، 26

كما أن أسلوب التربية الحديثة هو الذي يجعل (صادق النيهوم) يزوّد الأطفال بأكبر قدر ممكن من مصطلحات التعامل الاجتماعي بين البشر ((. . أقول لأهلها المغرورين . . ارفعوا رؤوسكم يا معشر الخنازير . هذا معلم الصبيان ترونه بعيونكم ولا تناله أيديكم . ارفعوا رؤوسكم يا أولاد الكلاب ودعوني أبصق في عيونكم البلهاء لكي ينفتح عنها حجاب الجهل . .)) ((. . وسمع بوضوح ثمة من يقول بصوت عال . . اتفو . . أيتها العاهرة))[1] .

. . . ((أيتها العاهرة . . أيتها المرأة الوضيعة العاهرة . . ماذا تفعلين هنا ؟ . . أنا سأخنقك بيديّ وسوف أخنق هذا القاضي إبن العاهرة . إتفو . . . أيها الزانيان . . هل خطر ببالكما أنكما تستطيعان أن تخدعاني . لقد أخبرتني الدّلالة بكل

(1) قصة عن النسر السحري الأبيض / 43 ، 49

شيء . . . أجل . . . أيها القاضي الخنزير . . لقد أخبرتني الدّلالة بجميع فضائحك . . أنا سوف أخنقك بيديّ)).

. . . .

((اسكت أيها العجوز الزاني . . إنك لا تستحق سوى الموت)) . . ((أجل يا سيدي . . اقتل زوجتك العاهرة))[1] . . ((الزناتي خليفة خنزير جبان لا يؤمن جانبه . . الزناتي خليفة ـ أيها الشحاذ ـ مجرد كلب أحمق مثلك))[2]

ولكي تكتمل تربية الطفل فلا بد من دروس في الثقافة الجنسية يزوده بها (صادق النيهوم) في مشاهد حية ومتنوعة ، عن طريق الانسان ، وعن طريق الحيوانات كذلك ((كان الكبش الفظيع الهائل الضخامة يقفز فوق ظهر الحمّال وينطحه بقرونه . وكان الحمّال

(1) قصة عن العظم وراقد الريح / ص 61 ، 62
(2) قصة عن قوت العيال / ص 85

غاضباً إلى حد الحنق وقد شرع يلكم الـكبش على رأسه بطريقة غـير شائعـة بـين النعـاج ، وطفـق يلتمس الحماية مسنداً بذيله إلى الجدار ، ولـكن المخلوق الأبله المحتـرق بالشبـق عاد فوق ظهـره بعناد لا يبـارى . .)) ((. . وقبّلهـا القـاضي في عنقها ثم قال ضاحكاً :

ـ ليس فضيلة القاضي ، دعينا من الألقاب قولي يا منصور فقط .

ومالت المرأة إلى الوراء وعادت تهمس بدلال :

ـ هل تأخرت عليك يامنصور ؟ أنت تعرف ، لقد كنت أخاف أن يحضر زوجي على حين غرة . إن أحـداً لا يستـطيع أن يتنبـأ متـى يحضر ذلك البغل)) [1] .

* * *

(1) قصة عن العظم وراقد الريح / 59 / 60

((. . . ومـد يده في الظـلام المليء ، بمواشــير الضوء الملونة واستشعر في مثـل الحلـم أن يده قد ضاعت تحت ثياب الزنجـي إلى الأبـد ، ثم عاد فأحس بها تقبض فجـأة على المكان الـذي يبحـث عنه ، وجذب نفسـاً عميقـاً وطفـق يعصر بيضاتـه بجنون)) . . [1] .

وهـكذا تكتمـــل الأسس النفسية والتربــوية لرعــاية الأطفال وتثقيفهم من وجهة نظر (صادق النيهوم) بمثل هذا الهراء الذي أسماه (من قصص الأطفال) .

وهكذا تضم المكتبة الليبية هذا السم ، نسقيه أطفالنا ليجترعوه دون أن نعي ، بدل أن نسلحهم بالحب والخير والصدق والجمال .

فليسمع الكبار . . أولئك الذين يعتقدون أن (تحت القبة شيخ) . . .

فليسمع الكبار ، وليقـرأ الكبـار . . . وليبصقـوا على ثقافة عصر الانحطاط .

---

(1) قصة عن قوت العيال .

ضجيج محمّد المسلاني



(محمد عبد السلام المسلاتي) .. إسم جديد من الشباب الذين يكتبون القصة ، يتميز عن بقية زملائه الشباب بغزارة إنتاجه من ناحية ، وبصدور مجموعة قصصية له، حملت الكثير من ملامح فن كتابة القصة عند هذا الشاب الموهوب ، من ناحية أخرى .

(الضجيج)[1] ضمت 13 قصة قصيرة ، ما الذي يمكن لنا أن نخرج به من خلال هذه المجموعة القصصية ؟

ما يجلب التفكير في قصص (محمد المسلاتي) أن هناك سمة عامة رئيسية تحكم علاقات الشخصيات بعضها ببعض ، كما تكون أساساً فنياً لعلاقاتها الاجتماعية ، وتحرك اتجاه سلوكها وتفكيرها بصفة عامة .

---

(1) محمد المسلاتي. الضجيج . قصص قصيرة / منشورات الدار العربية للكتاب / ط 1 / 77 .

هذه السمة هي المعرفة .

المعرفة ، مهما كانت فترة حدوثها ، في الماضي ، كخلاصة لتجربة أو معرفة مكتسبة في زمن مضى أو في الحاضر والمستقبل كخلاصة ، نتيجة لفعل حدث أو سيحدث،ولنتتبع سير القصص . . .

* * *

((ودارت بخيالها مرئيات ضبابية ، تزاحمت في أفكارها .

لمحت جموعاً غفيرة بمن الناس أمام بيتها ، شعرت أن الجميع ينهشون لحمها ، يقطعونها أشلاء . كانوا يقهقهون . . أعينهم تحاصرها بنظرات شبق واشتهاء . .

الأيدي تمزق جسدها ، سيارات شرطة ، شعرت بمن يجذبها عبر الزحام ، الدماء تتفجر من كل جسدها . . والناس يرجمونها . . أيد قوية

تمسك شعرها الفاحم تحلقه . . تساقط على الأرض . . بكت بحرقة . . جفت الدموع . . . لمحت بين الجموع زوجها العجوز . . يداه مخلبا نسر هائل . . قطع من جسدها قطعة ملطخة بالدم ، سمعته يندد بصوته المختنق . . (ارجموها . . ارجموها) وأقبل يلتصق بها . . . مضغ لحمها بأسنانه المتآكلة . . . والضجيج يرتفع . .)) [1] .

لحظات قصيرة جداً تلك التي ارتسمت فيها هذه الصورة بمخيلة المومس عندما علمت هوية من ينام بجانبها ، معرفة بما سيحدث لها لو نطق شرطي الآداب ، صورة تكونت من خلال واقع تعيشه ونقطة عذاب ستصل إليها في لمح البصر ، من خلال مخزون هائل يمتلىء به عقلها ومشاعرها عن المرأة الجانحة وكيف تتعرض لعقاب الشرع والسلطة والمجتمع ، يكون فيه بالتالي شيء تدفعه بلا

---

(1) قصة الثمن مدفوع مقدماً ص 310

ثمن ، معاشرة إنسان بغير رضا ، وبدون مقابل مادي ، على أمل السكوت وتجنب الصورة التي ارتسمت في خيالها عن تلك اللحظات الرهيبة التي ستتعرض لها .

ولا يختلف هذا عن موقف الفقي عثمان ، إن المعرفة عنده هو الآخر مكتسبة من نفس المكونات الاجتماعية وإن ازدادت حدتها ، حيث يوجد فرق التفكير والثقافة وسيطرة القيم الإجتماعية في مثل هذه الأمور بين من يعيشون في القرى والأرياف وبين من يعيشون في المدن ((خضت التجربة عدة مرات ، ولكنني ذبت فشلاً في كل مرة . واقع الهزيمة يصفعني من الداخل . . تلاشيت أمام زينب ، دارت الأرض تحت قدمي . . تلاحقت أنفاسي . . أدركت أنني إنسان فاقد رجولته ، ليس بإمكاني ممارسة ما يمارسه الآخرون . . . أي حشرة تافهة تستطيع أن تفعل ما عجزت عنه أنا الفقي عثمان . . أشهر رجل في القرية يصبح لا شيء أمام جسد امرأة عارية . . . هذا لا يحتمل . . وبكيت بجنون ،

النار اتقدت في عروقي . . . شعور بالتفاهة غمرني، أنا أعجز عن إثبات رجولتي ؟ . . كيف أقابل المنتظرين في الخارج ؟ . . ماذا أقول لرجال القرية الذين ينتظرون خروج الفقي عثمان ؟ هل أخبرهم بالحقيقة المفجعة ؟ . . . أقول إنني لست رجلاً)) [1] .

نفس الصورة تتكرر بشكل آخر عن الموقف المقبل كمحصلة لموقف حاضر يتوقف عليه ليس فقط مصير إنسان ، بل حياته ، في مجتمع يرى أن هذه الأمور هي أساس أي بناء إجتماعي أو اقتصادي .

هاتان صورتان من المعرفة عند شخصيات (محمد المسلاتي) القصصية التي تنبني على واقع إجتماعي معين يساهم في تكوين تلك الصورة النهائية لموقف مستقبلي بناءً على موقف حاضر، وبجانبه نجد معرفة تتكون من خلال تجربة شخصية في الماضي ((.. أصداء كلمات

---

(1) قصة حكاية رجل من القرية ص 36 / 37

الطبيب تصخب في أعماقها . . إلتهاب رئوي . . سل . . إرتعشت . . لا يمكن أن يموت ابنها الوحيد . . عبد القادر مات في شتاء السنة الماضية . . إنها تتذكر الرياح تعول مثل اليوم تماماً ، ألواح الكوخ اهتزت وقتذاك أكثر من مرة . ثم هطل المطر ، ومات عبد القادر . . ودّعها دون أن يقول كلمة واحدة . . الدماء كانت تغرق فمه . . كانت قابعة بجانبه . . ولكن . . فرج . . لن يذهب منها)) [1] .

إن هذا الخوف الذي يسيطر على العجوز من تكرار نفس الحادث ، موت الإبن بمثل ما سبق لأبيه أن مات به ، هو ما واجه عبد الجواد ((أوقف الرجال أيديهم وأسرعوا إليه ، في اللحظة التي هوى فيها على الأرض سابحاً في بركة دم !!

ـ مات الرايس محمود .

(1) قصة ستشرق الشمس يا طفلي ص 19

قلنا في وجوم :

لقد حدث ذلك في لمح البصر . . سكت فجأة الرجل الذي طالما قال لي :

- في لحظات عمري لحظتان رائعتان . . . لحظة أكون معكم هنا . . ولحظة أكون مع زوجتي وبناتي الأربع . .))[1] .

إن الذاكرة تختزن هذه المعرفة عندما تتشكل في ذهن الإنسان من خلال شيء حدث ويتوقع أنه قد يحدث له مستقبلاً ، إنها عملية توظيف لتلك المعرفة في دفع ضر أو في محاولة لاستجلاب الخير ، حتى لو كان الضر المتوقع حتمياً ولا سبيل إلى اتقائه كالموت .

هناك أيضاً ذلك النوع من المعرفة الذي يخضع للعقل في المقارنة والتحليل من واقع ما اكتسب وما يحدث للآخرين ((- أريد أن أهرب . . . أهاجر . .

---

(1) قصة عن هم العمر ص 52

أموت . . لا يمكنني مواجهة حياتي .

بكى بكاء يائس . . واسترسل يخاطبني . .

. . لكن لا أقدر على الهرب أيضاً . . . تهتف بي ذاتي . . تواجهني الأشياء ، هارب . . هارب . . وتظل تهدر فيّ . . تحفرني . . تثقبني . . تصل إلى القلب . . تقطعني مثل فأس حاد)) [1] .

إن عقل المسافر يتدخل ليحاول عقد مقارنة بين ما وصل إليه المسافرين العراقيين في هجرتهما وما سبق أن مر به هو في حواره مع صديقه ذات يوم مضى ، وهو يواجه إغتراب البحار الزنجي أيضاً ، ودوافع هذا الاغتراب بما لمسه هو شخصياً ذات يوم ((تنهد الرجل بحزن مكتوم وقال :

- إمتصهم الجفاف . . ماتوا كما تموت

(1) قصة الغرباء ص 95

الحيوانات .

وسألني فجأة :

ـ هل جربت الجوع ؟

قلت :

ـ عدة مرات .

واستأنف :

ـ لا أقصد الجوع الذي تجد بعده ما تأكل . . الجوع الحقيقي . . عندما ترى أحبابك يسقطون على الأرض مثـل أوراق صفـراء . . هذا ما عشته . . أيها الغريب)) [1] .

تحليل الأمور إلى جزئياتها هو ما يلجأ إليه المسافـر في محاولـة للخـروج بمـوقف من خلال المقارنـة ((ـ يا ولدي . . إن الله يغسلنا بالمطر . . كان يفعل ذلك كل عام . . وعندمـا زحف الجفـاف . . مات والـدك ـ يا صغـيري ـ وهـو يصلي صلاة

(1) قصة الغرباء ص 97

الإستسقاء . . كان ينتظر سقوط المطر . . ومواسم الخير . . تمنى أن يهدم بيتنا القديم . . . ويبني لنا بيتاً آخر . . لكنه مات جافاً كأنه غصن منزوع من شجرة . . غصن ملقى على الأرض . . حتى أننا لم نجد قطرة ماء نبلل بها جسده . . ما أبشع أن يموت المرء جافاً رغم انتظاره للمطر . .))[1] .

إن هذه العناصر التحليلية تارة ، التركيبية تارة أخرى ، هي التي تعطي الفرصة الأخيرة للعقل أن يعطي كلمته الأخيرة ، من خلال مخزون المعرفة السابق أو من خلال الصورة المحتملة ، في توظيف المعرفة السابقة ، للخروج بموقف تتوظف فيه تلك المعرفة بما يجنب الشخصية ، أو الشخصيات أي خطر محتمل .

لكننا نجد أيضاً أن هناك من لا يملك أي قدرة من المعرفة ، أي أن عليه أن يبدأ الرحلة من الخطوة الأولى ،

---

(1) قصة الغرباء ص98

وهذا ما حدث للصغير ((ـ أمـي . . من أين جئـت أنا ؟ . .

إذ ذاك انقلبت سحنتها . . ارتبك . . تسارعت دقات قلبه . . ارتعشت قدماه . . وقالت :

ـ ماذا ؟؟ . .

فتمتم متلعثماً :

ـ سألتك ـ من أين . . جئـ . . ؟

ما استطاع أن يواصل . . قاطعته :

ـ لقد قلت لك أكثر من مرة . . إننا وجدنـاك داخل أحد صناديق القمامة في أحد الشوارع . . لا تسأل من جديد . . أفهمت ؟))[1] .

تستمر الرحلة . .

---

(1) معرفـة / ص 78

((إنتشله مدرس الفصل من تيه أفكاره عندما قال . .

ـ عليكم يا أبنائي بطاعة من هم أكبر منكم .

وهنا قفز . . وسأل مقاطعاً المدرس :

ـ . . لماذا ؟

أجابه المدرس بفظاظة :

ـ لأنهم أكبر منك . .

إستأنف :

ـ حصان جارنا أكبر منا يا أستاذ .

ـ ماذا ؟

فقال :

ـ الحصان هل تجب طاعته لأنه أكبر منا

جميعاً ؟ . .

فزمجر المدرس غاضباً :

ـ اصمت أيها الغبي)) [1].

يواصل الصغير رحلة المعرفة :

((وانتفض مذعوراً على يد ثقيلة سقطت فوق كتفيه . . لوى عنقــه . . رأى وجــه جارهــم المكفهر . . سمعه يقول له . .

ـ . . اسمع . . أنا أحذرك . . إذا تجـرأت ولعبت مع ابنتي مرة أخرى . . سأقطع أذنك . . أسمعت ؟ . .

وسأله بدهشــة :

ـ لماذا ؟ . .

---

(1) معرفة ص 79

قال الرجل . .

ـ أنت ولد . . وهي بنت ؟

وكرر بصفاء طفولي :

ـ وما الفرق ؟ . .

ولم ينتظر . . فلقد أبصر يد الرجل تعلو في الهواء لتصفعه . . فانطلق يجري)) [1] .

يفشل الفتى في تلقي المعرفة من البيت ، ويفشل في تلقيها في المدرسة ولا يجد أمامه إلا الشارع ، يؤمن له المعرفة تجربة ويقيناً ((سمع النداءات . . . .

ـ تعال . .

ـ لنلعب ليلة العرس . .

إندهش ، فغر فاه ، تساءل . .

---

(1) معرفة ص 81

أبصر أمامه الكثير من الأطفال . . أولاد وبنات . . وقف حائراً . . شعر كأنه في حلم . . قال أحدهم . .

ـ تقدم ولا تخف .

ـ سنمثل ليلة الزفاف . .

ـ ماذا ؟

ـ هذا يتزوج هذه ، وهذا من هذه . .

ـ وماذا ؟ . .

ـ وينجبون الأطفال . .

الصغار ينتشرون حوله . . يصيحون . . يصرخون . . وهو متسمر مكانه . . وسمع من يحدثه . . التفت . . كانت صاحبة الصوت في حوالي الثالثة عشرة. . قالت له . .

ـ هيا . . ستلعب معي لعبة الزفاف .

سحبته من يده . . لم يقل شيئاً . . ضاع وسط زحمة الصغار)) [1] .

ويقنع الصغير بتلك المعرفة العملية للأشياء التي كانت في ذهنه ألغـازاً . .

((في البيت التزم الصمت . . في المدرسـة لم يناقش المدرس . . في الشارع طرق أبواب المعرفة بنفسه . . تعلم الكثير .

لم يقل (لماذا ؟) . . لم يعد في حاجة إليها ، أو إلى تلقـي الصفعـات . . فلقـد عرف كل شيء)) [2] .

هذه المعرفة التي حجبت عن الصغير في البيت وفي المدرسة كأشياء نظرية ألجأته في سبيل الحصول عليها لطرق أخرى يعيشها عملياً ولتكون المحصلة النهائية لكل

(1) (2) معرفة ص 82، 83، 84 .

الأسئلة التي لم يجد إجابة عنها سوى الصفعات وكلمة أسكت ، وهي بالتالي التي ستختزنها الذاكرة ويختزنها العقل ليوظفها بعد ذلك فيما يستجد من أحداث عبر حياة هذا الصغير بعد أن اختزنت من خلال الأسئلة النظرية السابقة بعض الأمور التي يقولبها السلوك الاجتماعي كطوطم يجب أن يعبد وتقدم له الضحايا في صورة من يتمردون على السلوك الاجتماعي الجمعي بسلوك فردي مضاد حتى ولو كان صحيحاً ، ولتصنع منه بالتالي أحد الشخصيات التي مرت بنا سابقاً . . الفقي عثمان أو عبد الجواد أو المسافر أو الشرطي أو المجنون أو أي إنسان يفرزه هذا المجتمع ، يلجمه بقيوده ، يسيره وفق عاداته وقيمه ، ويعطي عليه حكمه النهائي .

فالمعرفة ، سواء كانت عن طريق تجربة شخصية ، أو عن طريق اكتسابها من تجربة الآخرين تساهم بقسط كبير في صنع الفرد داخل المجتمع .

إنها تكسبه صفة الشخصية الضاغطة والمضغوط عليها في الكيان الاجتماعي في آن واحد ، الضاغطة من حيث

نظرتها إلى السلوك الاجتماعي للأفراد من واقع نظرة المجموع إلى الآخرين كأفراد ، والمضغوط عليها من حيث أنها فرد يجب أن يلتزم في سلوكه الاجتماعي بواقع نظرة الآخرين للصواب والخطأ ، ومن تحصيل الحاصل أن نقول إن من يحاول الخروج على السلوك الاجتماعي الجمعي بموقف فردي يخالفه ، يندرج في نظر الآخرين سلوكاً خاطئاً بالمقاييس الاجتماعية السائدة في الوقت الذي يكون فيه لدى الشخصية الفاعلة صواباً ، يجب أن يستمر ، أو على الأقل يجد له تبريراً مقنعاً لدى الشخصية الفاعلة نفسها ، بحيث يكتسب صفة الصواب .

وفي هذه الحالة يكون انعكاس هذا السلوك على الشخصية الفاعلة أحد أمرين ، ضياع الحياة ، أو ضياع العقل ، بمعنى أكثر تحديداً ، ضياع الحياة لدى الأنثى وضياع العقل لدى الذكر .

إن الحيرة والعذاب ، المادي والمعنوي ، إلى جانب ازدواج الشخصية أحياناً هو ما تجسده الشخصيات في صراعها مع المجتمع ، ومع قيمه السائدة وقوالبه التي

تحاول أن تحصر السلوك الانساني في حركات محدودة ، سلوكاً وتفكيراً .

إن المعرفة تخلق من الكائن البشري داخل المجتمع إنساناً مأزوماً بين واقع يعيش فيه وبين مثل ومقاييس يؤمن بها ، تمتلىء بها مشاعره ويكثفها عقله ((إنها الحقيقة . . لقد قتلته بيدي هاتين ، وأنا لست نادماً على ذلك . .

كان يستحق القتل ، ظللت أمقته سنوات طويلة . . لم يكن إنساناً في يوم من الأيام ، لم يشعر بوجوده . . كان مجرد خشبة تآكلت . . . أقدمت على تحطيم هذه الخشبة ، مارست حريتي وقتلته . . قتلته))[1] .

مجرد أمنية ، حلم ، بأن يموت ذلك الشخص الآخر الذي يعيش في أعماقه يمثل كل التقاليد ، كل المثل التي يعيش بها المجتمع ولا يستطيع العقل أن يؤمن بها ، وهو

(1) قصة الميت الذي لم يمت ـ ص 41

في نفس الوقت عاجز عن تدمير ذلك الطوطم ((. . كان يرافقني دائماً . . وكنت أناديه . . الخروف . . ويضحك بغباوة . .

- قضيت عليه لأنه خروف غبي . . رغم أننا ، ارتبطنا طويلاً . . إلا أنني لم أتورع عن كتم أنفاسه عندما حانت اللحظة الحاسمة . . . مزقته وأنا مغتبط . .))[1] .

عندما يتغلب اللاوعي على الوعي تكون المقاييس مختلفة ، تكون التصرفات معاكسة تماماً لمقاييس المجتمع ومثله ، يبدو السلوك الحقيقي الذي حجب عنه النور فتوارى وتوارى حتى ظهر فجأة في لحظة غياب الوعي ، وعادة ما يكون هذا الظهور متمثلاً في الجنون الذي يزيح الستار عن كل الآراء وكل التصرفات المكبوتة ، تنطلق دفعة واحدة ، معبرة عن سلوك سوي من ناحية الشخصية الفاعلة ، وعن جنون من وجهة نظر الآخرين ، إنه عذاب

---

(1) قصة الحي الذي لم يمت ص 44

ينتهي بالجنون ، الذي هو طريق الخلاص ، الوحيد ، عندما يزداد التناقض والصراع حدة بين الوعي واللاوعي ، يتخذ تعبيره الرافض في تكسير صورة الشخص نفسه [1] الذي يتمثله أمامه عدواً ـ كتشخيص للمجتمع بصورة عامة ـ يحجب عنه كل ما يمكن أن يجعل سلوكه سوياً تارة ، وفي حوار مسموع مع النفس تارة أخرى . . ((أحس كأن الهاتف يضحك في صدره ، وقال له :

ـ أنا أنت . . . .

ـ . . من . . ؟

ـ أنا وأنت واحد ، الجانب الآخر فيك ، لا تستطيع أن تهرب مني . . فالطرق مسدودة .

ـ سأقتلك . .

ـ ها ، ها ، ها . . لا تكن غبياً . . لأنك

---

(1) قصة الميت الذي لم يمت .

ببساطة ستقتل نفسك أيضاً . .

ـ ما الحل يا إلهي ؟

ـ على فكرة ، خذ قرصاً من أقراصك الملعونة . . . إخدع نفسك بأنك مرتاح . . على الأقل تعطيك شعوراً وهمياً بالراحة . .

خذ قرصاً . . إنك تتعاطاها لتنسى نفسك . .

لكنني سأكون معك . . تذكر بأنني لا أفارقك حتى لو ابتلعت كل الأقراص التي في العالم))[1].

إنها عملية الهروب من الواقع مرة أخرى ، العجز عن إيجاد موقف يتلاءم بين سلوك اجتماعي عاشه ولم يفطن إلى سوئه حتى أصبح هو نفسه خاضعاً لأحكامه وبين الخضوع لأحكام المجتمع وامتلاء الرأس بما هو عكس ذلك يزداد الضغط على العقل بين الانقياد والرفض ، يزداد الضغط ويزداد حتى يضيع معه العقل ولا سبيل للخلاص إلا

(1) قصة اللا اجتياز ص 58 ، 59 ،

بالالتزام ((سمع الهاتف يقول له من جديد . .

ـ عد إلى بيتك . .

واجه مشكلاتك ، أنا سأكون في رفقتك . .
اعتمد عليَّ ولا تخف . .)) [1] .

السلوك الاجتماعي يتكون عبر حياة الانسان ، طالت أو قصرت ، يجسد الممنوع والمكروه والمرغوب ، يجسد ما يلائم التفكير الانساني وما يناقضه ، وعبر جميع الكوابح الاجتماعية تنمو الضغوط وتتوالى ((. . وغبت عنهم . . أخذتني أفكاري إلى الماضي . .

أنا طفل صغير . . كنت دائماً أرغب في أن أقوم بشيءٍ ما . . أحلم بالإنطلاق لكن والدي يصيح في .

ـ لا تتهور . . أريدك أن تكون رجلاً مثلي . .
ما فائدة ألا يشبه الولد أباه . . أريدك مثلي . .

---

(1) قصة اللااجتياز ص 64

لا تلعب مثل هؤلاء الأطفال المجانين ، هل تريد أن يقول الناس عني أنني عجزت عن خلق رجل)) [1] .

بين الرغبة في الفعل ، وبين الكابح الاجتماعي ، تتجدد عوامل الصراع بين الارادة الفاعلة والضغوط الاجتماعية ، بين التفكير العقلي السليم وقيم وتقاليد تقولب الانسان وتلغي الارادة البشرية بعد أن تكون قد ألغت وجمدت التفكير لتتفجر بعد ذلك مأساة الانسان المأزوم في تصرف غير واع يساير السلوك الاجتماعي ، أو تصرف واعٍ لا يرضى عنه المجتمع عند غياب الرقيب الاجتماعي وضياع العقل .

لكن (محمد المسلاتي) لا يعدم الأمل في أن يكون هناك اتزان ، بتفجر الصراع والمعاناة حسياً يسمو على كل الأشياء ويهزم كل الأشياء . . ((الروعة أن تحمل الانتصار في أعماقك . . عندئذ فقط يكون

---

(1) قصة الجنون ص 105

بمقـدورك أن تقتـل اليأس . . هذا ما فعلتـه في عمـري . . لم أدع اليأس يفـوز عليَّ . . كنـت أعرف أنه سيمتصني دون شفقة . . الذي أقولـه لك الآن هو أن تحـاول الشعـور بالانتصـار . . ستبدو شامخاً كجيل يقف في وجه الزمن . .

وراحِ العجوز يشير بيده المعروقة تجـاه صدره مواصلاً حديثه :

ـ . . هنا ، في هذه الأعماق يكمن الانسان . . الذات الحقيقية تتنفس في هذا الجوف المنخـور . . الروعة هنا . . والمرض هنا أيضـاً . . لكن ما دام قلبك يحمل الشعور بالانتصار ، ثق أنك ستفوز رغم كل شيء . .

آه . . عم أحدثك ؟ . . ماذا أقول لك ؟ . .

لقـد أرهقـت جسـدي كثـيراً . . أتعبـت قدميّ . . لكنني لم أنهـر ، أو أسقـط على طوال

سبعين عاماً . . ظللت أتطلع إلى الشمس . . إلى مواسم الحصاد وعشقت آلاف العيون . . وأحببت أطفال الفلاحين المنتشرين على اتساع الحقول التونسية . .

أحببت كل شيء ما عدا الموت . . كنت أكرهه . . أمقته . . أشعر أنه يخطف الإنسان وفي رأسه آلاف الأحلام التي لم تتحقق بعد . .)) [1] .

إن جوهر الإنسان هو الذي يبقى عندما تضيع كل الملامح وتتحول جميع الأشياء المحيطة به إلى سراب ، إتزان العقل والقلب هو الذي يصنع الانتصار وما أعظم الانسان عندما يموت واقفاً كالشجر ، بالرغم من كل الـواطم .

إذا كان ضياع العقل هو النتيجة المنطقية لكافة ضغوط المجتمع ضد الشخصية الفاعلة للسلوك الاجتماعي المنفرد

---

(1) قصة الزيتون ـ ص 111

عند (الذكر) . . على أساس أنه أكثر احتمالاً وأكثر قدرة على المجابهة ،فإن الأمر بالنسبة لـ (الأنثى) يتعدى ذلك إلى فقدان الحياة برمتها عند من تقل مقاومته ولا يستطيع الصمود أكثر .

إن الضغوط الاجتماعية على المرأة تبرز أكثر منها على الرجل ، وهناك مجموعة مفاتيح تلقي الأضواء على أساس المشكلة الاجتماعية للمرأة في مجموعة (الضجيج) .

((قالت متنهدة ، وبصوت شبه حالم . .

ـ اللعنة على الظروف . . إنها دائماً وراء كل شيء .

ـ دعينا منها الآن . .

لكنها تابعت ، وهي تميل برأسها مبتعدة عن كتفه العاري . .

ـ ظروف مالية، أليس كذلك ؟

- لا . .)) [1]

* * *

((. . لا يمكن أن أعجز أمام هذه المرأة . . سأنتقم وأحطمها . . سأظل أنا الفقي عثمان في نظر المجتمع ورغم أنف الهزيمة .

قفزت مندفعاً إلى الخارج تاركاً زينب تلتحف بجمالها وخجلها . . حملت الفكرة وانطلقت كحيوان أبله . . الجميع سيصدقون ما أقوله ، لن يحاول أحد تكذيب الفقي عثمان . . إقتربت من الزحام . . الأبصار ترمقني بتساؤل ودهشة ، لم أهتم بأحد . . أمسكت بذراع أحد شيوخ القرية وانتحيت به جانباً . . همست في أذنه بضع كلمات ، قلت له إن زينب ليست عذراء)) [2] .

* * *

---

(1) قصة الثمن مدفوع مقدماً ص 7 .

(2) قصة حكاية رجل من القرية ، ص 37 ، 38 .

((- ... مسكينـــة غرر بها..

- ....

- التحقيق لم يفسر السبب .

- لقد اعترفت بأنها تحبه .

- يا للتعيسة ..

- أرجو ألا تزيد من أسئلتك .

- سؤال واحد فقط ، ما هو موقف والدك ؟

- قرر قتلها .

- مجنون ، وأنت ما دورك في المشكلة ؟

- لا أعرف ..

- أعرفك تمارس الهروب)) [1] .

* * *

---

(1) قصة اللااجتياز - ص 62 ، 63

((سأل المحقق والدها :

ـ هل كانت سعيدة في حياتها ؟ أقصد ، أكانت معاملتكم لها حسنة ؟ . .

فأجاب الرجل بصوت كسير :

ـ . . لم نبخل عليها بشيء . . تأكل ، تشرب ، تلبس ، تدرس ، وتتنفس . لا أعرف ما الذي كان ينقصها ؟ . . لا أفهم لماذا انتحرت)) [1] .

* * *

((رأى وجه جارهم المكفهر . . سمعه يقول له . .

ـ إسمع . . أنا أحذرك . . إذا تجرأت ولعبت مع ابنتي مرة أخرى . . سأقطع أذنك . .

---

(1) قصة الانتحار ص 73 ، 74

أسمعت ؟

وسأله بدهشة ؟

ـ لماذا . . . ؟

قال الرجل :

ـ أنت ولد . . وهي بنت)) [1] .

إن المفهوم الاجتماعي للمرأة من خلال الشواهد السابقة هو أنها ليست أكثر من حيوان بشري ، يأكل ويشرب ، يلبس ، يتنفس ، وينام. إلى جانب هذه النظرة الجماعية للمرأة يبرز سلوك آخر هو أنها يجب أن تكون نقية ، عفيفة بدون التقيد بعفاف ونقاء الطرف الآخر ، الرجل ، وعند وقوع معصية فوحدها المطالبة بالفداء ، لتكون بالتالي مهزومة على جميع الأصعدة ، ولتمثل النظرة إليها ككل من خلال نظرة جزئية . . المرأة . . جهاز تناسلي . . تلك هي المعادلة التي أصبحت سلوكاً اجتماعياً انتفت معه

---

(1) قصة معرفة ، ص 82

كل الصفات الإنسانية الأخرى . . حتى ولو كانت تلك الأنثى . . طفلة .

وعندما تختل الأمور وتكون الأحكام الجزئية معياراً للأحكام الكلية فلا بد من وجود كبش فداء ، وبالضرورة يجب أن يكون كبش الفداء أضعف مكونات المجتمع على المستوى الواقعي ، ليس على مستوى الأخطاء الفردية التي تبرز كسلوك اجتماعي منفرد فقط بل لتعليق أخطاء وخطايا الآخرين أيضاً .

لذلك نجد ظاهرة المرأة المهزومة على كل المستويات في مجموعة (محمد المسلاتي) القصصية ، على المستوى النظري [1] وعلى المستوى التطبيقي [2] سواء كانت الأخطاء مشتركة [3] أو من طرف واحد [4] إنها تنتهي بالحل الوحيد ، الموت ، بعد أن يكون القهر الاجتماعي قد

---

(1) قصة الانتحار .
(2) قصة معرفة .
(3) قصة الثمن مدفوع مقدماً ـ اللااجتياز ـ معرفة .
(4) قصة حكاية رجل من القرية .

أخـذ غايتـه ، ويكون الموت هو الخـلاص لكل تلك التـراكمات من الأخطـاء والعُـقَـد ، الموت بيد القـوة الاجتماعية ذات السلـوك الجمعـي [1] . . أو اختصـار الطريق وارتـكاب الفعـل من الجانـب الأضـعف [2] . . حيث لا توجد إشراقة أمل .

إن القصاص (محمد المسلاتي) يفلح في أن يطرح هذه القضية على أكثر من مستوى ، يقدمها كصورة أولية لطفولة تبحث عن المعرفة ، ثم تنتقـل إلى تطبيق عملي ساذج يتطور بعد ذلك ليعطي نفس الصورة عن التطبيق العملي ، يقـدم فيه كشف الحسـاب طرف دون شريكه الآخر .

ثـم يقدمهـا في صورة من يتحمـل عجـز وفشـل الآخرين .

---

(1) قصـة الثمـن مدفـوع مقدمـاً ـ الـلااجتياز ـ حكاية رجـل من القرية .

(2) قصة الانتحار ـ ص 97 .

ويعيد من جديد اختصار كل تلك المرحلة عند الوصول إلى طريق مسدود لا تجد فيه المرأة إلا أن تكون صورة من الصور العديدة التي مرت بنا ، وتكون محصلة رفضها فكل تلك الصور نتيجة تفكير وعقل ناضجين إلا أن تنهي حياتها بيدها ، معتقدة أن ذلك هو الطريق الأفضل ، ليحكم عليها بعد ذلك بما يعطي الفكرة المثلى عن طريقة تفكير الرجال في المرأة ((ـ لماذا أقدمت على الانتحار ؟

ـ ألا تكون ؟ . .

ـ ربما . .))[1] .

إنها خيوط من النور يلقيها (محمد المسلاتي) حول الفكر المتعفن في هذا المجتمع .

* * *

يختلف المستوى الفني الذي يقدم فيه القصاص

(1) قصة الانتحار ص 97

(محمد المسلاتي) مجموعة قصصه ، من قصة لأخرى ، بل يختلف بين فقرات القصة الواحدة ، أحياناً ، يرتفع ليبلغ مستوى جيداً في بعضها ويهبط في بعضها الآخر إلى درجة يهبط فيها بمضمون القصة نفسه .

فالشكل الفني عند (محمد المسلاتي) يسير في خط غير متواز مع المضامين التي تحملها مجموعة (الضجيج) . . إنه أشبه ما يكون بخطوط الرسم البياني .

وأول ما يبرز لنا من عيوب أسلوب (محمد المسلاتي) كثرة استخدامه لحروف العطف ، فنجد حرفي (الفاء) و (الواو) يكسران سرعة إيقاع الجمل ، يكسران موسيقية الألفاظ ، ويصطنعان تكلفاً في السرد ، أو الحوار . . نجدهما يخلقان لقلقة في الترابط ويحدان من الشكل الجمالي للقصص .

وركاكة الأسلوب في بعض الفقرات مظهر آخر من مظاهر الضعف في الشكل الفني ، يكفي أن نقرأ

((فسحبت جزءاً من ردائها المهترىء وغطت قدمي الطفل العاريتين .

ـ لا حول ولا قوة إلا بالله . . العيل نزح دم :

هـذا ما صاح به أحـد الجالسـين قافـزاً من مكانـه . . إقتـرب منهـا مشـيراً إلى مقعده . .)) [1] .

* * *

((عندما ذكر الرجل إسم المرأة تذكرت على الفور أنه ردد هذا الاسـم ذات مرة فلـم أتمـالك نفسي وهتفـت متشوقـاً إلى سماع قصـة زينـب هذه)) [2] .

* * *

---

(1) قصة ستشرق الشمس يا طفلي ص 12

(2) قصة حكاية رجل من القرية ص 32

((وتمتم الضابط :

ـ إنه أمر محير حقـاً . . إذا كان ما يدعيه هذا الشخص صحيحاً : أين الجثة ؟ من هو القتيل ؟. .

إذ ذاك تحرك الرجل الذي سلَّم نفسه . . وقـال مقاطعاً الضابط :

ـ الجثة . . إنها موجودة)) [1] .

* * *

((وكان قميصه المزركش ملتصقـاً بجسـده نتيجة لنضوح العرق بغزارة . .)) [2] .

* * *

((وإلى جوارنـا يجلس رجـل زنجـي يتصفـح مجلة)) [3] .

---

(1) قصة الميت الذي لم يمت ص 42

(2) قصة اللااجتياز ص 57

(3) قصة الغرباء ص 94

إننا نلاحظ أحياناً أنه لمجرد زيادة كلمة واحدة ، هي تحصيل حاصل ، أو محاولة التفسير للاعتقاد بغباء القارىء ، أو رصّ جمل إنشائية ليس لها معنى ، تصبح الجملة ركيكة المعنى ، لتطبع الفقرة كاملة بركاكة الأسلوب ، وتهبط بتوظيف الكلمات في أدائها للمقصود .

ومع ركاكة الأسلوب يتضح لنا وجود سرد رتيب ممل في أحيان أخرى . . .

((سأسرد عليك قصتي بالتفصيل ، وأرجو منك ألا تبوح بها لأحد ، لا أرغب أن يعرف أسراري أي واحد .

في الحقيقة ترددت كثيراً قبل أن أقرر قصها عليك ، أنت تعرف أنني عشت حوالي عشرين سنة لا أتحدث مع أحد ، أنا أمقتهم جميعاً ، أعتبرهم مشتركين في موت زينب . . كل واحد ارتشف من قطرات دمائها ، الجميع جنى وأنا كذلك منهم ولهذا

لا أود التكلم معهم ، يكفي أن أحدث مجرماً واحداً)) [1] .

* * *

((صمت الفقي وطأطأ رأسه على حين خفق قلبي بلهفة لمعرفة بقية القصة .. فهو ربطني بكلماته وصوته الحزين ، كنت موقناً من صدق الحكاية .. إعتدل الرجل في جلسته ورمقني بعينين اغرورقتا بالدموع .. وقال بصوت متهدج ..)) [2] .

ويزداد هبوط المستوى الفني عندما يصدمنا الوعظ المباشر على لسان أحد الشخصيات ((أنا إنسان يقتله الندم .. ألعن حظي القاتم وتلك القرية الموبوءة ، كما أنني أخجل من أفكاري الحمقاء التي سحبتني نحو الجريمة .. ما أقسى أن يعيش

(1) (2) قصة حكاية رجل من القرية . ص 34، 36 .

الانسان حياته تائهاً بين الندم والتفاهة . . حياته لا تطاق)) [1] .

لكن كل تلك الأخطاء ، تخف حين يجيد (محمد المسلاتي) استخدام ألفاظه ، واختيار مواقع كلماته ، حتى لترتفع لغته أحياناً لتصبح بمثابة لغة شعرية ((. . أنا عبد الجواد (عامل) كادح أعطيت من عمري خمسين عاماً للبحر . . عشقت الشمس ، ووجوه العمال الأصدقاء ، والبحارة الغرباء الوافدين من كل بلد ، والأطفال . أردد بضع أغنيات (العلم) الشعبية . . أبتسم ساعات الضيق . . أطرد بمزاح الزملاء آثار التعب اليومي . .

يعرفني البحر ، وصناديق بضائعكم . . والساعات الأولى من كل صبح . . . والليل والقمر ، والمطر ، وغبار القمح المستورد . .

(1) قصة حكاية رجل من القرية ص 30

تعرفني حتى جرذان الميناء)) [1] .

* * * * *

((ـ عبد الجواد . . هل نمت ؟

ـ لا . .

ـ أتسمعني ؟

ـ أجل . .

ـ لو كان الله يرزقنا بولد يقاسمنا عبء العمر . . ينسينا سنوات الفقر)) [2]

*   *   *

((وكانت تصمت والمطر في عينيها ، فأرى أنهما مسكونتان بالشتاء والمطر ، والحزن والحب عينان تتوهجان بلهب خبز الفقراء تنبعث من ردائها المهترىء ، ما الذي حملني إلى الماضي ؟ لا أعرف

---

(1) (2) قصة عن هم العمر ص 49، 51

فلقد كان القطار يسير إلى الأمام))[1] .

ويبدو واضحاً عدم امتلاك المقدرة الكاملة لاستخدام الأسلوب الفني المناسب عند (محمد المسلاتي) في حيرته الواضحة عند النقل من السرد أو الراوية إلى الحوار الداخلي (المونولوج) أو تيار الوعي أو الاسترجاع (الفلاش باك) عند الشخصيات ، فهو يخلط كثيراً ويحتار كثيراً ، ويفقد الأسلوب السليم كثيراً ((. . لكن لا يهمه ما سيحدث لها ، إنه يؤدي عمله . . قال في ذاته . .))[2] .

* * *

((أفكارها تزاحمت في قلق . . الموت يطارد ابنها . . لا يمكن أن تفقده هكذا ، فليس لها سواه في هذا العالم الكبير . . إنها سلخت سنوات عمرها من أجله . لن تدعه يختفي ببساطة . .

(1) قصة الغرباء ص 98

(2) قصة الثمن مدفوع مقدماً ص 8

سيعالجه الطبيب الآن . . . لقد لجأت به إلى المستشفى لتنقذه من أصابع المرض . . . ستسهر بجانبه الليل كله . . بل العمر كله)) [1] .

* * *

((تساءلت في ذاتها . . هل يموت الناس دون دمائهم . . يعانون من الجفاف؟ إنها طريقة رخيصة . . لا . . لا لن تفقد (فرج) مهما كان الثمن ! لقد فقدت أباه في يوم ما !! ولن تفقده هو الآخر . . **قلبها** لا يحتمل التمزق أكثر من مرة . .)) [2] .

* * *

((ـ ايش اندير . . . يا رب ؟ هكذا قالت في ذاتها . .)) [3] .

* * *

(1) (2) (3) ستشرق الشمس يا طفلي ص 14 ـ 19

((ما يزال سائراً . . . الظلمة بدأت تزحف على المدينة ، المحلات أغلقت أبوابها . . . نفس الهاتف يدق على جدران قلبه . . يخاطبه))[1]

* * *

((إتخذ بينه وبين نفسه قراراً . . قال في ذاته :

لن أحدث أحداً في البيت سأغلق فمي . .))[2] .

* * *

((السكوت مسيطر علينا . . كل واحد غارق في ذاته . . منفصل عمن حوله . . أنا أردت تجاوز ذاتي . . تأملتهم بدقة . .))[3] .

* * *

---

(1) قصة اللااجتياز ص 61
(2) قصة معرفة ـ ص 80
(3) قصة الغرباء ص 93

((لكن لا أقـدر على الهـروب . . تهتف بي ذاتـي . . تواجهـني الأشياء . . هارب . . هارب وتظل تهدر فيَّ . . تحفرني . . تثقبني . . تصل إلى القلب . . تقطعني مثل فأس حاد . .)) [1] .

* * *

((شعرت آنذاك كأنني اجتزت جداراً عالياً . . أو تسلقت جبلاً شاهقـاً . . أعقبـت هذه الحـركة موجة من الارتياح غسلت داخلي . .)) [2]

* * *

((وغبـت عنهـم . . أخذتنـي أفـكاري إلى الماضي . .

أنا طفل صغير ، كنت دائماً أرغب في أن أقوم بشيء ما . . . أحلم بالانطلاق)) [3]

* * *

---

(1) قصة الغرباء ص 94

(2) (3) قصة الجنون ص 104 ـ 105

((العجوز التونسي أمسى مجرد كتلة من اللحم لا تحرك ساكناً . . تحول إلى شيء متصلب . . اللعنة على نهاية الانسان . . هكذا تحدث في ذاته . .)) [1] .

* * *

((إنه يتذكر كل شيء ، فهذا ما كان ينطق به العجوز خلال حكاياته التي اعتاد سماعها وهو جالس يقاسمه الحديث . . وعادت ذاكرته إلى الوراء)) [2] .

* * *

((شبح العجوز لا يفارقه . . ملامحه تختلط بذاكرته . . أحاديثه تتردد بأصدائها داخل أذنيه . . لحظة واحدة فقط . . أتذكرها جيداً . . لحظة من تلك التي تنتاب المرء فجأة . . كنت أخاطب نفسي آنذاك . .)) [3] .

---

(1) (2) (3) قصة الزيتون ص 108 ـ 110 ـ 116

إن إضطراب الأسلوب الفني يبدو واضحاً من خلال النماذج السابقة ، إن الإخبار الجاف الذي يعطيه الكاتب بأن هذا الكلام يدور في نفس الشخصية ، أو أنه ينتقل بفكره إلى الماضي ليسترجع أحداثاً أو إلى المستقبل ليتصور أحداثاً أخرى ، أو أنه يقفز بأفكاره عبر تيار الوعي من فكرة إلى فكرة ، أو تصوير الحوار الداخلي بلغة سردية ، يلزم القاص (محمد المسلاتي) الكثير من الاطلاع ، يلزمه مراجعة ما يكتب أكثر من مرة لاختيار الكلمة المناسبة في التعبير والجملة التي تحافظ على اتساق المعنى وسرعة أو بطء الايقاع .

وحتى لا يتكرر تقديمه للحوار الداخلي بلغة سردية ، أو لجوئه للحظات الاسترجاع بطريقة غير فنية .

وليست الكلمات فقط التي تهبط بالمستوى الفني ، بل الحروف كذلك ، إنه مجرد حرف ذلك الذي يخلق الفرق بين السرد والرواية ، حرف فقط يخلق كثيراً من الخلخلة .

((شعور بالتفاهة غمرني ، أنا أعجز عن

إثبات رجولتي ، كيف أقابل المنتظرين في الخارج ؟ . . ماذا أقول لرجال القرية الذين ينتظرون خروج الفقي عثمان ؟ هل أخبرهم بالحقيقة المفجعة)) [1] .

وأيضاً يتحول الحوار الداخلي إلى إخبار على لسان راوٍ ((فقي القرية لا يمكنه أن يفعل شيئاً . . . إنه إنسان ناقص منخور من الداخل ، يحمل الفشل تحت الجلباب الأخضر. إبتعدت عن زينب واستلقيت على الفراش أفكر فيما حدث . . بأي قناع سأواجه أهل القرية ؟ . . وفجأة . . قفزت إلى رأسي فكرة راحت تلح في إصرار ، كانت فكرة شيطانية)) [2] .

* * *

((إنها الحقيقة ، لقد قتلته بيدي هاتين ، وأنا

---

(1) (2) قصة حكاية رجل من القرية ص 36 ـ 37

لست نادماً على ذلك . . كان يستحق القتل ، ظللت أمقته سنوات طويلة . . لم يكن إنساناً في يوم من الأيام ، لم يشعر بوجوده . . كان مجرد خشبة تآكلت . أقدمت على تحطيم هذه الخشبة. مارست حريتي وقتلته . .)) [1] .

* * *

((يدق منبه الساعة . . أستيقظ . . يكون الليل قد حل ، والملل شرع يتململ في مشاعرك)) [2] .

* * *

((شعر أن العجوز معه . . لم يمت . . ذكرياته المترعة بالأحلام والأحزان التي عاشها في حكاياته يستشعرها تحيا في أعماقه)) [3] .

---

(1) قصة الميت الذي لم يمت ص 40
(2) قصة اللااجتياز ص 59 ـ 60
(3) قصة الزيتون ص 118

ومن الظواهر الملفتة للنظر في قصص (محمد المسلاتي) استخدامه لبعض الكلمات التي تعطي مدلولاً يختلف عما يريده الكاتب ((. . شعرت أن شجاعتي تتخلى عني ، والرب أيضاً يتركني . .)) [1] ((. . يا للعار ، وماذا سنفعل أمام الرب والناس)) [2] . ((انتظري ، فسيرزقنا الرب)) [3] .

وبرغم أن من ينطقون تلك الكلمات يغلب على تفكيرهم انصرة الدينية . . من شيخ . . إلى رجل قروي . . إلى عامل بسيط ، فإن كلمة (الرب) في حد ذاتها تعطينا إحساساً بأننا نستمع إلى أحد القسس في خطبة أحد داخل إحدى الكنائس .

كذلك يستخدم (محمد المسلاتي) المطر في التعبير عن حالة نفسية معينة أي في إعطاء صورة عن جوانب

---

(1) (2) قصة حكاية رجل من القرية ص 36 ـ 38

(3) قصة عن هم العمر ص 51

الشخصيات ، برغم التناقض الواضح في المواقف نفسها التناقض بين الموت والحياة . . ((إنها تذكر أن الرياح تعول مثل اليوم تماماً ، ألواح الكوخ اهتزت وقتذاك أكثر من مرة ، ثم هطل المطر ، ومات عبد القادر . . . ودّعها دون أن يقول كلمة واحدة . .))[1] .

* * *

((أحست أنها خاوية . . . واهنة . . أنها تغرق في بحر عميق ، والطوفان يغمرها . . هوت على الأرض . . يداها ما زالت تحتضنان جثة الطفل . . انكفأت بوجهها فوقه ، تكومت على الرصيف مغمى عليها ، وفرج يرقد تحتها . . ما تزال السماء ملبدة بالغيوم . . وهطل المطر . .))[2] .

* * *

(1) (2) قصة ستشرق الشمس يا طفلي ص 19 ـ 22

((ـ يا ولدي . . إن الله يغسلنا بالمطر . . كان يفعل ذلك كل عام . . وعندما زحف الجفـاف . . مات والدك . . يا صغيري . . وهـو يصلي صلاة الاستسقاء . . . ان ينتظر سقوط المطر ، ومواسـم الخير . .))[1] .

* * *

((لحق بهم مولياً ظهره إلى جسد العجـوز . . ثمة شعور يرغمه على البقـاء في مكانـه مشلـول القدمين . . واستطاع أن يخلص قدميه متجهاً إلى الخارج في يأس ، المطر ما زال يتساقط . . الرياح تولـول عبـر وحشـة الليل ، والأشجـار المغتسلـة بقطرات المطر . .))[2]

يوفّق (محمد المسلاتي) في استخدام المطر كمعادل

---

(1) قصة الغرباء ص 98

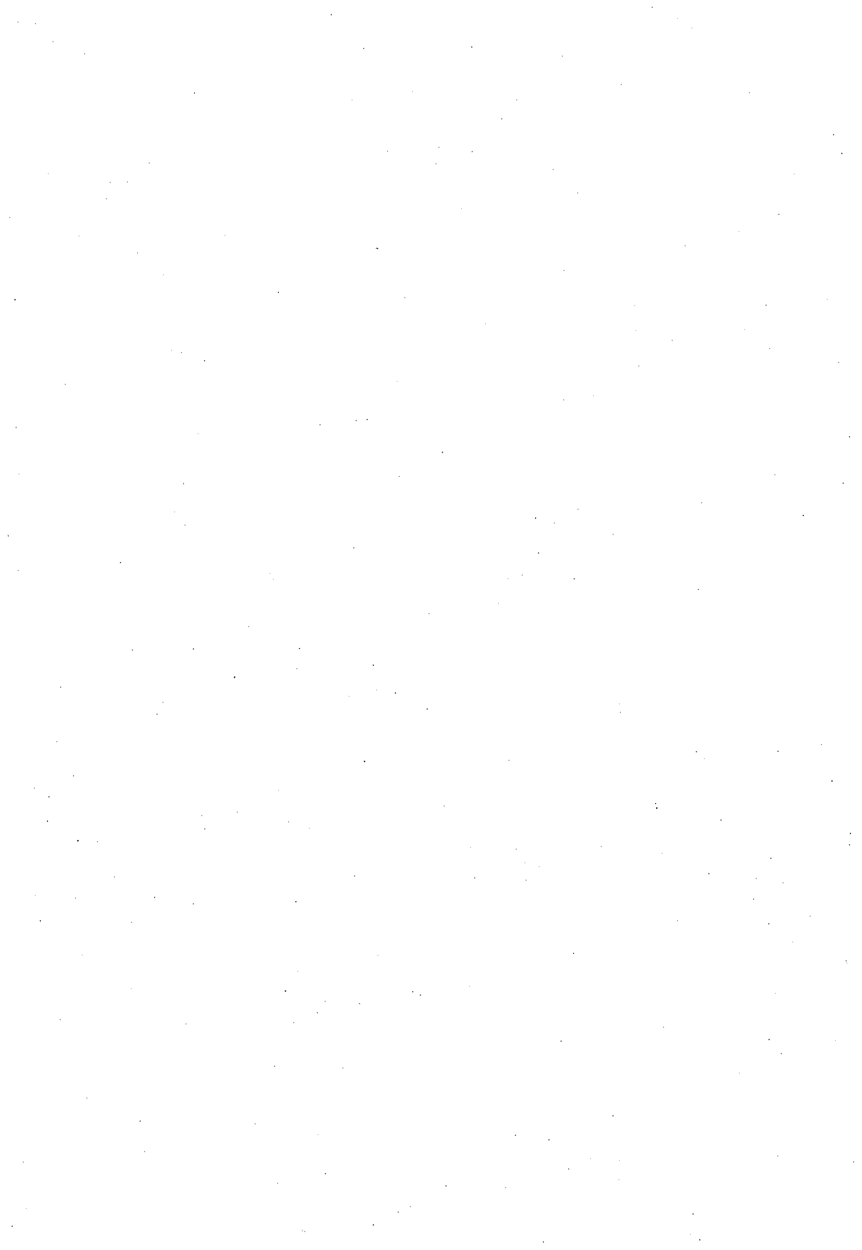
(2) قصة الزيتون ص 115

للحياة لكنه يفشل في استخدامه كرمز لحلول الموت ، إن التعبير بالمطر عادةً يستخدم للتعبير عن الحياة ، أو عن عودة الحياة لكنه يبدو متناقضاً عندما يجري التعبير به عن الموت . . الرياح . . العاصفة . . الغروب . . الليل . . كل ذلك جائز لأن يستخدم معادلاً للموت أو الحالة النفسية السيئة أو اضطراب النفس والهيجان والرغبة في التدمير ، أما المطر فهو الحياة أو عودة الحياة والخصب والمستقبل .

وبرغم كل ذلك ، فلو امتلك (محمد المسلاتي) ناصية الأسلوب الفني وعرضه في شكله المناسب ، وحافظ على جوهر العمل القصصي ، أي اعتمد على التكثيف بدل تلك الزوائد والتفاصيل التي لا لزوم لها ، فأنا متأكد بأنه سيرتفع بالشكل الفني في أقاصيصه إلى مستوى مضامينه ولاكتسبنا قاصاً جيداً وجاداً .



خليفة التكبالي
بينَ الوَجه وَالقناع



في حياة المرحوم (خليفة التكبالي) محطات ينبغي الوقوف عندها لمن يرغب في دراسة إنتاجه ، لأن هذه المحطات مؤشرات تعطي الكثير من الدلالات التي تفسر سلوك شخصيات قصصه أحياناً ، واختيار مواضيع هذه القصص أحياناً أخرى .

ومن خلال المقدمة التي كتبها الأستاذ (أمين مازن)[1] نستطيع إستخلاص بعض المعلومات نقف من خلالها في ثلاث محطات عبر حياة (خليفة التكبالي) .

المحطة الأولى أن (التكبالي) عاش طفولة

---

(1) خليفة التكبالي / تمرد (قصص قصيرة) منشورات اللجنة العليا لرعاية الفنون والآداب / ط1 / 1966 / المقدمة .

قاسية ، فلم ينل فيها تعليماً مدرسياً منتظماً ، إلى جانب ممارسته للحياة العملية في محطة وقود ، وانكبابه على القراءة الأدبية .

المحطة الثانية سفره إلى ألمانيا وممارسته للعمل طيلة ثلاث سنوات في أكثر من مجال ، في المقاهي والمزارع والمصانع ، ثم دراسته النظامية للغة الألمانية إلى جانب عمله ، واطلاعه على الأدب الألماني في لغته الأصلية .

المحطة الثالثة تبدأ بانضمامه للكلية العسكرية في أواخر 1963 م ليتخرج برتبة ملازم ثان في أغسطس 1965 م ، ثم يعمل ضابطاً نظامياً بكتيبة مشاة حتى وفاته في عملية جراحية في 9 يونيو 1966 م .

نلمح تأثيرات المحطتين الأولى والثانية في الانتاج القصصي للمرحوم (خليفة التكبالي) من حيث اهتمامه بما يمس المشكلة الاجتماعية في مختلف أبعادها ، وفي علاقة المواطن الليبي بالأجنبي من جوانبها العديدة .

إلا أن ما يثير الحيرة فعلاً هو عدم وجود أي تأثير للحياة العسكرية في نشاط (خليفة التكبالي) الأدبي ، بالرغم من أن هذه التجربة لا يمكن أن تمر بهذه البساطة ، ابتداءً من الحياة داخل جدران الكلية العسكرية وانتهاء بالعمل كضابط ، إن هذه التجربة لا تضفي سلوكاً ومنهجاً معيناً في الحياة فقط ، ولكنها تمد ظلالها حتى على حياة الانسان في بيته ، بعيداً عن الانضباطية والسلوك الحازم ، ترسم ملامحها حتى على قاموس الانسان اللفظي ، وعدم ظهورها في الانتاج القصصي لخليفة التكبالي يعني مقدرة كبيرة لديه على الحياة بشخصيتين منفصلتين متضادتين .

* * *

ما الذي يمكن لنا أن نخرج به من خلال دراستنا للأعمال الكاملة [1] للمرحوم (خليفة التكبالي) من واقع تأثيرات حياته ، بالرغم من عدم احتوائها على كل

---

(1) خليفة التكبالي / الأعمال الكاملة (قصص قصيرة) منشورات الدار العربية للكتاب / ط 1/ 1976 م

القصص التي كتبها [1] . ؟

إننا لا نستطيع أن نفصل تأثيرات حياة (خليفة التكبالي) عن قصصه ، سواء من حيث اختيار نوعيات الأشخاص، أو في رسم سلوكهم الاجتماعي ، أو في تعدد النماذج التي قدمها ، لذلك نجد أن التمرد الفردي في قصص (خليفة التكبالي) يشكل أحد العناصر المهمة في تشخيصه للواقع الاجتماعي وللمشكلة الاجتماعية والسياسية بكافة صورها، في سبيل السعي وراء الوصول إلى مجتمع سليم خالٍ من العيوب والممارسات السيئة .

فالتمرد كمفهوم سياسي ، حتى ولو كان سطحياً ، يتخذ مسار الاعتزاز بالنفس والاعتزاز بالوطن ، ليبرز أحياناً بصورة إيجابية عندما تتوفر القدرة على الفعل أو على أقل الفروض توفر النية لهذا الفعل ((قال أحدهم

---

(1) من القصص التي لم تنشر ضمن الأعمال الكاملة / عم كركوبه (مجلة الإذاعة / العدد 9 / السنة السادسة / 30 مايو 1966م)

ضاحكاً متبجحاً :

كنت أعرف لغتهم ، لذلك فقد فهمت ما يريدون ، ولكني تظاهرت بعدم الفهم ، خيل لي أنهم يتسولون فقلت :

ـ ماذا ؟

ـ قلت دلاعه .. نريد دلاعه .. كرر باحتداد .

سقط بقلبي هم ثقيل وأحسست بالغبن والضيق ، لا أدري لماذا .. أكان ذلك بسبب مظهرهم ووقاحتهم ، أم هو لشعوري بالذل واضطراري إلى تنفيذ رغباتهم .

لم يكن ما في المخزن يخصني ، وعندي من الأوامر ما يكفل لي بل يحتم علي إعطاءهم ما يريدون ،ولكن ما يريدون هذه حزت في نفسي ..

جعلتني أحس الاهانة وأشعر أنني لست في بلدي وأنهم يفرضون إرادتهم ، يفرضونها علي بشكل سافر وقح)) [1] .

إنه مجرد إحساس فطري ذلك الذي دفع الفتى إلى الرفض ، ثم إلى التحدي والتمرد ((لم يكن رفضي حباً في الدلاع أو خوفاً عليه من النفاذ ، إذ إنه موجود بكميات كبيرة ، ولكنه مخصـــص لنا نحن العرب ، ولم يكن الأجانب يأكلونه ، لأنهم كانوا يأكلون أنواعاً أخرى أحسن وأطيب . . كانوا يأكلون كل يوم صنفاً من الفاكهة يختلف عن الذي أكلوه بالأمس . . . بينما كنا نأكل الدلاع في الوجبتين يومياً . كل ما يأخذونه ممتاز وحسب رغبتهم . . أما نحن فما كان لنا أن نستزيد شيئاً من حصتنا الضئيلة . . وقد كنت في بعض الأحيان أتمنى أن آكل مما يأكلون ، أغبطهم وأشعر بالغيرة

---

(1) قصة الكرامة / ص 119

منهم .. ولكني دائماً أكبح جماح نفسي ، وأعترف بيني وبين نفسي أنهم فنيون وأن مرتباتهم أكبر ، بالتالي فإن لهم الحق في أن يأكلوا أحسن . . . فلماذا ، إذن الدلاع ؟))[1] .

هذا الاحساس الفطري يتخذ صفة جمعية ، إنه إحساس متوفر لدى أغلب المواطنين ((. . . كنت أكره هؤلاء الناس . . . أحقد عليهم وأنقم على وجودهم حيث أوجد متوهماً أنهم يضايقونني في رزقي))[2] ليس هذا التمرد ضد وضع اقتصادي معين فرضته ظروف القهر والاستبداد والتخلف الاجتماعي والثقافي ، الناتجة عن وضع سياسي معين ، وليس دفاعاً عن شيء مادي ، بمقدار ما هو إحساس بالذل ومحاولة محو ذلك الذل بالدفاع عن كرامة الانسان الذي يحس أنه في وطنه ويجب أن يكون كل شيء مسخراً لخدمته ومنفعته ،

(1) قصة الكرامة ص 120 / 121
(2) قصة الغرور / ص 289/290

لا أن يكون ذلك كله ، بالإضافة إليه هو كإنسان ، في خدمة الأجنبي ((كان غضبي مزمجراً . . كل ما عانيته في حياتي من شعور بالنقص وضغينة تجاه الأجانب قفز في لحظة لا واعية . . كبرياء مجروحة وغل مكبوت . .)) [1] .

إن هذا الاحساس بغبن العيش قياساً لحياة الأجنبي داخل الوطن هو الذي ولَّد التمرد ضد هدر كرامة الإنسان الليبي ، وما يعتقد أنه يخصه هو شخصياً بغض النظر عما يسببه هذا الموقف مستقبلاً ، حتى ولو وصل إلى حد قطع رزقه .

ويتخذ التمرد ضد الأجنبي صورة أخرى ، ذلك هو قهره عن طريق احتواء جزء من ممتلكاته وعن طريق العقدة المترسبة في ذهن الشرقي كعلاّقة للرجولة ولكل المثل والأخلاقيات ، فبعد أن ضاجع (صبي المنزل) زوجة مخدومه الأمريكي بدأ إحساس آخر يراوده ((. . .

---

(1) قصة الكرامة / ص 124

وعندما ركبنا السيارة التفت إليَّ وقال بفمه الكبير :

- إيه . . يا ولد . . يبدو أنها أعجبتك ، ولكن لا تفعل ذلك ثانية . . ونظرت إليه . . كان ينظر إلى الطريق ، وكان وجهه المتغضن المترهل يشبه وجه الطفل ، أحسست برأفة تلج قلبي من أجله . . ووضعت يدي على كتفه العملاق متلذذاً بتفوقي ، شاعراً بجسدي الرشيق يغطس في المقعد الذي يشبه السرير الوثير)) [1] .

أصبح يحس أنه أطول قامة من ذلك الأمريكي الذي خانته زوجته معه ، غزوته الجنسية كانت تعويضاً وبديلاً لكل الظلم والقهر اللذين كان يحس بهما وهو يخدعه وزوجته وزوارهما ، أصبح يحس أنه هو القاهر لذلك الجبروت الذي كان متمثلاً في مخيلته .

إلا أن الجانب السياسي في التحدي لا يطمس الجانب

---

(1) قصة سرما حدث ص 267

الاجتماعــي فيه بل يؤكده ، ويثبــت أنهما متلازمــان ومتكاملان ، فإذا كانت النظرة لتطوير المجتمع وتطـوير العلاقات الاجتماعية وجعلها تأخذ وضعها الطبيعي وتغرز أسسها السليمة في وجدان الناس بعيداً عن مجـال عمـل بعض المبهورين بما يحـدث في المجتمعـات الأخـرى دون سعـي لتحقيق ذلك في مجتمعهـم ، فإن هنـاك من أبنـاء الوطن من يسعى لهدم وإزالة قيم إجتماعية متخلفة لتحل بدلاً منها قيم تبني على أسس من التفاهم والوعي ((. . لو ينصتـون لي . . لو يفهمونـــي . . أف . . لو يتركونني . . لو يتركونني لوحـدي . . . أريد أن أفكر بهدوء ، أحتاج إلى الهدوء ، إن عقلي ينبض بعنف وأفكار تتزاحم في رأسي فأنا لا أستطيع أن أفــكر ، أن أقــرر شيئــاً ما . . . وإذن لماذا أتقزز . . أرتعب . . عندما أسمـع أن رجـلاً قد اغتصب امرأة ؟ لماذا أكره ذلك المغتصب وأحتقره وأحقد عليه ؟ . . ألست مقدماً على الاغتصاب ؟ وما الفرق بين ما أنا مقدم عليه وبين الاغتصاب ؟

أليس معنى الاغتصاب أن أنال امرأة بغير رضاها ، وهو نفس الشيء الذي سوف أفعله . . يا إلهي ما هذه الأفكار ؟ . . أنا لا أستطيع أن أعيش . إن ما أنا مقدم عليه شيء خطير . . اللحظات القليلة القادمة ستسجل ، سترسم لتبقى معي طول حياتي ، ستؤثر في مستقبلي ، ستحدد علاقتي بزوجتي . . بأبنائي ، أجل أبنائي . . لا أريد أن تكون علاقتي بهم كعلاقتنا بأبي . . أبي . . كيف كان يعاملنا أبي ؟ . . كيف كان يعامل أمي ؟ . . لا . . لا لست أريد ذلك ، ما جدوى ما تعلمته ، إذن ، وما الفائدة من كوني أعيش في عصر غير عصر أبي . .)) [1] .

رؤية جديدة للعلاقة بين الزوج والزوجة ، بحث عن تلك المشاعر الانسانية التي تربط الزوجين بعواطف صافية وتفاهم تام وود عميق ، رغم السحب الكثيفة من عادات

---

(1) قصة الأصبع المجروح / ص 114

المجتمع وتقاليده التي تحوم حولهما وتضيق عليهما الخناق .

ويزداد هذا التحدي ضد العرف الاجتماعي ويتطور ، كما يزداد عدد المؤمنين به ((لقد نظرت إليه عندما غازلها ، نظرت إليه ، وهي تعتقده الهازىء الطامع نظرة ملؤها الكبرياء والترفع ، نظرة أحس لها بالألم يغزو قلبه ، أحس بآماله تتحطم ، برجائه في أن يجد الفتاة التي تستطيع أن تقف بجانبه ، وأن تبدأ معه حياةً يرجوها لمجتمعه ، فتاة خليقة بأن تعاونه وتعضده في تنفيذ آرائه وأفكاره التحررية ، ومسح تقاليد الجهل ، الموروثة عن عهود العبودية المظلمة))[1] .

إن التحدي المحوري الذي يبرز لدى شخصيات (خليفة التكبالي) هو تحدي المجتمع وقيمه ذلك أن مجرد نشوء علاقة بين فتى وفتاة ، تحد للنظرة الاجتماعية الجمعية ، تحد مشوب بالخوف ، مليء بالصراع ، داخل

(1) قصة أنقذ ملك أختي سعاد / ص 128

كل شخصية على حدة ، بين قيم نظرية وبين تطبيق عملي لها ، وداخل الشخصيات المتكافئة والمتضادة ، بين مكتسبات تحررية ، امتلأت بها نفوس البعض ورفضها البعض الآخر ، وبين ما يكمن في الأعماق من ثورة مترسبة في الذات ، أو قيم ثابتة لا تتزعزع ، والتحدي الفردي ، والانتصار الفردي يصبح تحدياً وانتصاراً جماعياً عند وجود النصير والمدافع لكلا الطرفين .

إلا أنه وبالرغم من توفر المؤمنين بقيام المجتمع الجديد ، سواء كان حلماً في ذهن البعض أو ممارسة فعلية لدى البعض الآخر ، فالذين يقاومون هذا التحول أيضاً كثيرون ، فموقف أصدقاء العريس [1] والأم [2] والأب [3] والغلام[4] والأب [5] ، وشهود حادث

---

(1) قصة الأصبع المجروح
(2) قصة أنقذ ملك أختي سعاد
(3) قصة كلام الناس
(4) قصة الإسم الحقيقي
(5) قصة المنزل الجديد

السيارة [1] وصاحب المسكن [2] .. موقف هؤلاء الرافض لحركة المجتمع ، المحافظ على ثبات وبقاء كل سلوك يحطم الانسان ويجعل منه شكلاً هلامياً لا نفع فيه ولا رجاء هو في الواقع دفاع عن أنفسهم ، لأن في بقاء كل تلك القيم بقاء لهم ، وفي نهايتها زوالهم لتتفتح بنهايتهم كل الدروب المقفلة لسالكي طريق المستقبل .

ومن هنا أدرك (خليفة التكبالي) إدراكاً واعياً بأن هدم قيم المجتمع القديم لينبني على أنقاضها مجتمع الكرامة ، مجتمع العلاقات الانسانية ، لا يتحقق إلا بأن يتشبع الفرد منذ حداثته بتلك الآراء ، أن ينشأ في رعاية طيبة ، أن توفر له ضمانات العيش الكريم ، أن تتاح له فرصة التعليم المنتظم ، أن تتأكد شخصيته كإنسان أولاً .

ومن هنا كان اهتمامه بالتركيز على فترة الطفولة والمراهقة .

---

(1) قصة همجية

(2) قصة هذي مخمور

ومن هنا كان تسليطه للضوء على الانحرافات الاجتماعية والخلقية ، ثم تتبعه لأسبابها وطرقها ، بقلم الفنان ، وإحساس المواطن العارف والمسئول .

يقرع (خليفة التكبالي) نواقيس الخطر ، يعطينا الاضاءة اللازمة لكشف جوانب الانحراف عند الأحداث ، يعرضها بصورتها البسيطة وفي وجوهها المختلفة وبصورتها الأولية لتتركز مؤشرات الاتهام نحو العامل الرئيسي .

((كان يشعر بالضيق والمسكنة . . يشعر بالظلم . . يشعر بأن أمه يساعدها أخوه لحرمانه حقه في الحرية . . ينتزعان منه إحساسه برجولته الجديدة ، يحقدان عليه أنه صار رجلاً ويحاولان إرغامه لكي يرجع طفلاً ، ولكن هيهات ، لقد كبر ، لم يعد ذلك الطفل الضعيف ولن يكون قط . . إنه طويل . . طويل في طول أخيه . . وبعد مدة من الزمن ، سيفوته طولاً ، أجل ، إنه

سيتغلب عليه لو ضربه ولو أنه لن يرضى . . . إنه لن يسكت إذا ما ضربه . . كانت مشاعر الكراهية تعمل في صدره . . تعذبه . . وتجعله يمل الانتظار ، تجعله يرغب في التجربة ، في الاحتكاك . . كان يريد أن يجرب . . أن يفحص الحقيقة . أن يذوق الواقع ، أن يعصي ، أن يتحدى ويرى ما يكون . . يريد أن يتحدى أخاه . . وأن يرفض الخضوع ويعصي الأوامر التي تقيده . . أن يسترد حريته السليبة وأن يصارع أخاه ويقاسمه . . يقاسمه كرسي السلطة على الأقل . . ويتربع معه على عرش الحكم ، معه في منزلة واحدة ، في مستوى واحد)) [1] .

* * *

((ـ أمي . . مطلَّقة . . طلَّقها بوي من اللي أنا

---

(1) قصة تمرد / ص 15/ 16

صغير . . ومسح دمعه .

- وكيف ه . . واندفع في حماس يقاطع الشرطي .

- هي ما دارت شيء . . هو يسكر . . ويضرب فيها . .)) [1]

* * *

((ألف مرة قالت له أمه :

- إنت يا وليدي طليح . . والله ما تنفع حاجة . . زي الفلس الزاطل . . وأبوه أيضاً يقول له مثل ذلك ، وعمه ، وكل الكبار في أسرته كانوا يردِّدون على مسامعه مثل هذه العبارات في مناسبات عدة)) [2] .

* * *

(1) قصة البذور الضائعة ص 80

(2) قصة يقظة / ص 88

((لم أكن أعرف في ذلك الوقت ، وأنا طفل لم أتجاوز الثامنة من عمري معنى أن يغضب أبي ويهجر البيت . . كنت فقط أشعر بأن شيئاً متغيراً في البيت شيئاً كان يجعل البيت كئيباً وكبيراً بشكل كثير .

وفي ظهر اليوم التالي . . كنت أتناول الغداء في بيت أبي وزوجته الجديدة تسألني وأنا أسرد عليهما أكاذيبـــي :

ـ كل يوم يضربــوا فيَّ . . . ويقولــولي جيب الذخيرة وإلا نقتلوك . .

وزوجة أبي تؤمن على كلامي ، وهي تنظر إلى أبي نظرات ذات معنـــى :

ـ تقتلك هادي شن . . هادي سحاره . . شن خلاني مريضه كان سحرها ، هاذي والله تذبحك حتـى إنـت . . كول يا وليدي واقعــد هنــي مع

بوك . .))[1] .

* * *

((كان يتمنى ذلك دائماً ويسرح مع تمنياته الجميلة ، حتى يوقظه صوت والده القاسي وهو يعنف أمه ، ينهرها ، ويعيرها بأصلها الوضيع الفقير ، وأحياناً كان يضربها . . وعندئذ كانت غمة من الحزن والكآبة تطغى عليه ، تسوِّد حياته وتفسد عليه أحلامه ، يستشعر صغره وضعته بقسوة ومرارة ، فيلجأ إلى دموعه يذرفها ، بينما يكبر غله وحقده على البيه القاسي المتجبر)) .

. . . .

((. . ونفذت أمه وعيدها حزينة بائسة ، ذهبت إلى بيت أبيها ، وذهب هو معها أكثر حزناً وبؤساً ، كان يشعر أن أمه لم تكن ترغب في

---

(1) قصة حكاية كذبه / ص 92/ 100

مغـادرة البيت ، ولكنهـا كانـت مضطـرة إلى ذلك للحفاظ على كرامتها أمام الجيران الذين أخبرتهم بأمر المنزل الجـديد .

وكان يخيل إليه أن أمه على استعداد للرجوع بمجرد أن يأتي أبوه ويطلبهـا ، ولكنـه لم يفعـل قط ، وعلى ذلك فقد عاشـت أمـه في بيت جده ، حزينـة مكلومـة ذليلـة الجانـب طائعـة الهم . .)) [1] .

* * *

((كان الصبـي مطروحـاً على الأرض . . . محصوراً بين الحائط وحذاء الرجل الذي وضعه على بطنه كأنما ليمنعه من الفرار ، وكان قد سكت عن البكاء ، وجعل ينظر إليَّ باستغراب وفضول خلت أنه يخفي وراءه شهوة خبيثة لرؤية اليد الضخمـة

---

(1) قصة المنزل الجديد ص 178 / 181 / 182

المفتولة العضلات والمشعرة التي كانت تذيقه المرار . . تهوى على وجهي بصفعة مؤلمة . .))[1].

* * *

((توقع الناس الذين يعرفون الحاج مصطفى الشر والبلاء . . توقعوا أن يقتل المعلم ، أو على أحسن الفروض يكسر عظامه ويثقب رأسه انتقاماً لرأس ابنه الحبيب . . نعم ، توقع الناس وتوجسوا شراً . . واستعرضوا بخوف لا يخلو من التذاذ . . جميع الاحتمالات والنتائج المباشرة وغير المباشرة ، التي ستتولَّد من زيارة الحاج مصطفى للمدرسة . . تلك الزيارة النادرة في حياة الحاج))[2] .

* * *

((كانت دوافعي تكبر مع كل لقاء . . كل شيء

---

(1) قصة لحظة تأزم / ص 196 / 197

(2) قصة عصاة المعلم / ص 203

عن المدينة عرفته أجمل ألف مرة مما رأيته بعد ذلك . . حتى كان ذلك اليوم . . ضربني أبي بسبب المدرس الأبله . . فحنقت . . ووجدت في حنقي مطية لتحقيق الحلم الرائع الذي نما في كياني ، حتى صار من الحيوي تحقيقه وتحويله إلى واقع . . وهربت . . هربت إلى المدينة . . . وها أنا هارب ، هارب مما حدث . .)) [1] .

* * *

((همس الصبي غير متمالك لآمال قلبه المتعطش . .

ـ أني . . نبِّي عشرة قروش . .

ـ شن تدير بيها ؟ . .

ـ نمشي مع خوى للسينما . .

---

(1) قصة سرما حدث / ص 261 / 262

ـ السينما . . أمشي ياللا روّح . . لازمك غير السينما . . إمشي يا اللا . . .

. . . .

وعندما ولجا أخيراً القاعة المظلمة . . حقَّق الطفل حاجته . . وقلَّ ارتباطه بالرجل السخيّ الغريب . . بينما ازدادت حاجة الرجل إلى الطفل . . بحيث حاول أن يثنيه عن مواصلة البحث عن أخيه . . ولكنه اضطر إلى مسايرة الصبي المتوجس ، الراغب في الانفكاك من يد الرجل الشديدة الحدب ، والمرتعشة . . . وعندما وجد الطفل أخاه أخيراً . . . كانت نظرة منه كافية للرجل بالانسحاب ، ذلك أنه كان يعرفه . .)) [1] .

* * *

((. . . فتحت الباب برفق حتى دون أن تقول

---

(1) قصة كان يعرفه / ص 279

الكلمة المعهودة (شكون) وأخرجت رأسها تطلّ على الشارع تبحث عن أخيها الذي استطاع ـ برغم كل شيء ـ أن يتسمع خطواتها . . فتراجع بعيداً عن مكمن الخطر . . وراح يرقب الباب يفتح وتطلّ منه أخته الصغيرة بوجهها الصديق فيندفع نحوها وقد زال كل كربه . . يسألها : بوك . . فايق ؟

وبتلك الهبة التي منحها الإلّه للإناث من البشر . . هبة الأمومة الرائعة تستشعر مسئوليتها ، وقد زال خوفها واضطرابها عليه وهي تراه سليماً . . فتقول في لهجة مؤنبة :

ـ لتوا ما هو . . نهارك غدوه اللي تدّور فيه . .

وولج البيت يتبعها ، دون أن يتسمَّع حتى كلماتها . . فليس من شيء يقنعه بأن أخته يمكن أن تشي به . .)) [1] .

* * * *

(1) قصة تآمر / ص 331

بماذا يمكن أن نخرج من خلال هذه الاستشهادات التي يبعثرها المرحوم (خليفة التكبالي) ضمن قصصه ؟

العامــل الــرئيسي لكل الانحرافــات أو مقدمــات الانحرافات وبكافة صورها هو الأسرة ، فحالات الطلاق بين الزوجين ، وهجر الزوجة للزوج أو العكس والجمع بين زوجتين أو تكرار زواج الأب والأم ، بعد انفصالهما ، أو اختلاف الزوجين على أشياء بسيطـة تكبـر ، لتنتهـي بالفراق أو الهجر ، هي بداية جنوح الحدث ، وهي بالتالي التي توجد الفرقة بين الأبناء وتجعلهم يضيعون بين بيتين كل منهما يستعدي الحدث على الآخر ، أو يرميه للآخـر ليتحمل مشقة تربيته والاعتناء به .

فإذا ما غاب التفاهـم بـين أعضـاء الأسرة الواحـدة ، وافتقد أفرادها الطريق السوي للتربية زاد احتقـار الأب للأم ، زاد نهرها وضربها ، وزاد انتقال المشاكل تحت سمع الأبناء وبصرهم ، وولد حقد الأطفال على والدهم .

وإذا أعطـي الأخ الكبـير في الأسرة مكانـاً أكبـر من

حجمه،وعلى حساب بقية الأطراف،زاد تسلُّطه على من دونه في السن من إخوته ، وزاد بالتالي تسلُّط الذكر على الأنثى سواء كانت أختاً أو أماً ، أكبر أو أصغر منه . ليزداد بالتالي تعمق الطقوس الاجتماعية والعرف الساري في النفوس .

ومع امتهان واحتقار الحدث أو الشاب وعدم تقديره داخل الأسرة ، سواء من قبل الأب أو الأم أو الأقارب .

مع القسوة في تربية الأبناء بالشتم والضرب والطرد من المنزل ، أو عدم الاهتمام برعايتهم ومتابعة خطاهم وتوجيههم .

مع عدم مراعاة العوامل النفسية التي يمر بها الحدث ، خاصة في فترة المراهقة ، وافتقاد الترفيه والتسلية والهوايات ، لقضاء أوقات الفراغ .

مع ضرب المدرس للتلاميذ ، واضفاء الألقاب والنعوت والتصنيفات . . وعدم اهتمام وليِّ الأمر بمتابعة شئون أبنائه في المدرسة .

مع عدم وجود القدوة الحسنة وأماكن تزجية الفراغ في عمل مثمر في الشارع ، ومع استمرار تزويد البيت والمدرسة للشارع بهؤلاء الأحداث ، تتوفر جميع الظروف وتنفتح جميع الأبواب للانحراف ، وتحبط كل الجهود المبذولة من قبل الحدث للتغيير نحو واقع أفضل .

يضطر الحدث للاستجابة للأفعال غير الخلقية للحصول على المال والبحث عن شيء من الترفيه .

يبدأ تقليد الصغير للتصرفات السيئة التي يقوم بها الكبار . .

والنهاية لكل تلك الممارسات ؟ . .

النهاية واضحة . . تبرز في عدم الاستفادة من التجربة الشخصية للأفراد في تطويعها للسلوك الحاضر والمستقبل وتعريض الغير لها ، أي البداية من نقطة الصفر في كل

مرة [1] .

تبرز في سيطرة الجنس والمال على النفوس ، واتخاذ المواقف من خلالها[2] .

تبرز في النزعة العدوانية وغيبة العقل والقانون ، ليأكل القوي الضعيف في كافة المعاملات اليومية الاجتماعية [3] .

وتتجمع تلك العوامل ، تأخذ شكل الدائرة ، تطحن الانسان بكل ما فيه وما عليه . . لتصنع منه إنساناً معقداً . . مأزوماً . . ومهزوماً . .

كما يسيطر الجنس على تصرفات الشخصيات في قصص (خليفة التكبالي) فيعطي أحد الملامح الرئيسية للمشكلة الاجتماعية .

---

(1) قصص تمرد / المنزل الجديد / البذور الضائعة / كان يعرفه .
(2) قصص جشع / إلى أين نمضي / قبل أن يموت / مساكين / الغرور
(3) قصص لحظة تأزم / همجية / الصبر / الثمن .

يسيطر الجنس على الأشخاص باختلاف أعمارهم وثقافتهم ، ويسيطر على الأحداث باعتباره محركاً لها ، وتبدو هذه السيطرة من خلال السلوك الشخصي السري أو العلني للفرد الواحد .

وتتخذ هذه السيطرة عدة مسارات ، سواء في الاصطدام بها ، أو معالجتها ، أو توجيهها لتفكير الانسان بحيث يكسبها الشرعية مرة ، ويتخلص من نتائجها مرات .

يختلط الجنس بالحب ، يختلط الحب بانتقاء الكلمة الحلوة والحنان ، يبرز الحب فجأة ليختفي الجنس ، ويطفو الشبق أحياناً لينتزع من الإحساس كل المشاعر والعواطف الانسانية .

نلتقي عند (خليفة التكبالي) بمفهوم متطور للجنس عندما يكون خاتمة لعلاقة إنسانية تزداد ارتباطاً حتى تصل أوجها بالجنس ، ليصبح عندها شيئاً سامياً ، متعالياً ، ونلتقي معه أيضاً بالجنس عندما يكون هو الهوة

الكبيرة التي تدفن فيها جميع القيم والمثل ، سواء كان ذلك بالتفكير أو الممارسة .

فالمرأة لها قيمة معينة وفقاً لأسس التعامل في المجتمع ((. . ويغض بصره عن أن يتسلل إلى داخل أكواخهم العادية والحاوية لأثمن ما عندهم ، الحريم ، ذلك الجنس الضعيف الناعم ، والذي استطاعوا هم الفقراء الضائعون ورغم كل شيء أن يمتلكوه . وأن يكوّنوا منه تسليتهم . . ومتنفس غضبهم وقهرهم . .)) (1)

أداة تسلية ومتنفس للغضب والقهر وكافة الترسبات الاجتماعية السيئة هو ما ينعكس على المرأة ويزيد في ارتفاع ذلك الجدار الفاصل بين حياة المرأة وحياة الرجل ، وعندما يجتمع الحرمان بوفرة الشبق ، يبحث الفرد عن البديل ويعطي لنفسه تبريراً يغطي به سلوكه الذي يعتبر خرقاً للعرف الاجتماعي .

---

(1) قصة الفقيه / ص 33

ورفض مشروع الزواج الذي قوبل به الشايب محمد من جانب إبنه ومن جانب الفتاة التي اعتزم الزواج منها هو الذي جعله يحس الحرمان ، كما يحس أن نافذة فتحت له لإرواء شبقه عندما حادثته المرأة الأجنبية ((ترتجف أعصابه . . وتهتز رجلاه . . ويرتعش جسمه كله وهي تضحك . . تسخر منه أو تعجب به . . تعجب به لأن فيه حرارة . لأن فيه رغم كبر سنه دماء ساخنة تتحرك . . لقد كان الأمر كذلك ، أعجبت به وأحبته . . أرادته ولكنه لم يفهم ، أرادت أن تفهمه فقالت وهي تضغط على يده ، تودعه . . قالت إنها تأتي إلى المدينة دائماً . . وتذهب للرقص . . ويسعدها أن تراه مرة ثانية . . وغمزت . . غمزته . . ونادى النادل :

- وين كامبو متع الرقيص هذا ؟

- كامبو شنو ؟

- هذا اللي يرقصوا فيه .

ـ آه . . الموكامبو . .

ـ إيه . . وين هو هذا ؟ . .

وقام يدب على أرجله الثقيلة محاولاً الانتصاب بجسمه وإزالة التقوس في ظهره . . دون جدوى . .)) [1] .

إن فكرة الزواج نفسها ، تلك التي طافت بذهن الشايب محمد مجرد تغطيه لشبقه وعندما قفل الباب في وجه تلك المحاولة للاستمتاع بجسد الفتاة الصغيرة السن ، رغم كل الاختلافات في العمر والثقافة ، تحت ستار شرعي ، فتحت الطريق أمامه من جهة أخرى لإرواء ذلك الشبق .

وهذا الاتجاه لإرواء الشبق الجنسي مقابل ثمن محدد سلفاً لا يلتزم به الشايب محمد فقط ، على اعتبار كبر سنه وافتقاده سمات مادية ومعنوية قد تخلق له القبول لدى الطرف الآخر ، إنه ظاهرة عامة في قصص (خليفة

---

(1) قصة مشاعر هرمة / ص 22

التكبالي) فداخل المجتمع الليبي الذي تحكمه مثل وقيم وأخلاقيات معينة ، كان من الصعب على الانسان ليس فقط أن يجد ما يطلب ، بل حتى مجرد العلاقة الاجتماعية السليمة ، سواء كانت تؤدي إلى الزواج كنتيجة طبيعية لعلاقة بدأت وترعرعت تحت نور الشمس ، أو حالت ظروف دون وصولها إلى نهايتها الطبيعية ، وسواء كان ذلك في نطاق زمن معين أو مكان معين .

ذلك أن الثمن المدفوع في مثل هذه الحالات غالٍ جداً .

لقد دفعت فاطمة حياتها ثمناً لذلك [1] بالرغم من أن والدها قتلها مع أمها التي حاولت الدفاع عنها دون أن يتأكد فعلاً أن الكلام الذي يثار حولها حقيقي .

ودفع الشاب [2] ثمن عبارات غزله لصاحبة الفرّاشية لحظة رعب وسباق مع الموت ، في تصوره ، لأنه يعرف

---

(1) قصة كلام الناس

(2) قصة الثمن

مردود ذلك الفعل .

ودفع الفقيه محمد [1] سمعته وما يتبع ذلك من سجن بتهمة الاغتصاب إذا لم يوافق العم أحمد وزوجته على زواجه من فاطمة كسترٍ لها وله . .

ومن هنا كان اتجاه الأفراد لأحد طريقين . . إما دفع المقابل المادي المجزي لقاء إرواء شبقهم الجنسي وحرمانهم ، فيدفع فتحي مائة دينار [2] . . ويدفع الرجل الآخر ثمن زجاجة خمر في الملهى الليلي ، علاوة على ما سيدفعه للمرأة [3] .

أو أن يسافر المواطن خارج الوطن ، حيث تخف القيود وتختلف القيم والأخلاقيات ليستطيع أن يفعل وأن يجد في بلاد غريبة ما لا يتوفر في وطنه .

بل أن حتى ما يتوفر داخل الوطن ، والذي يدفع فيه

---

(1) قصة الفقيه
(2) قصة مساكين
(3) قصة قبل أن يموت

المواطن الثمن المادي المرتفع ، نجد أن طرفه الثاني (الأنثى) لا يتمتع بصفة المواطنة ، إنه أجنبي خال من الارتباطات التي تقيد حركته وتحدد سلوكه داخل ليبيا ، أو داخل الأسرة الأجنبية .

ومن هنا تتحدد علاقة المواطن الليبي بالأجنبي في نقطتين ، سياسية . . تبرز في النظرة إليه كدخيل يستولي على خيرات الوطن ويتحكم في مقدراته، واجتماعية . . . تتمثل في الانحلال الأخلاقي والفساد .

الجوع الجنسي والشبق في المرأة . . والعجز الجنسي والتخنث في الرجل .

وفي البلاد الغربية يبحث المواطن الليبي عن الجنس ، يغرق في الجنس ، يشبع من الجنس، لكنه يظل معلقاً في الخيط الرفيع بين الجنس والحب والحنان والشفقة والامتلاك .

إن أسلوب التربية الاجتماعية في الأسر الليبية لا يعرف معنى حقيقياً لكلمة (حب) . . فالكلمة توضع في

قاموسنا اللغوي الاجتماعي على أنها مجرد معنى مخفف لكلمة (جنس) . . والجنس يرتبط بعفة الأنثى . . وشرفها . . الذي هو مثل عود الكبريت ، يتبع اشتعاله حريق يدمر الكيان الاجتماعي المحيط بها .

ومن واقع هذا الفهم الخاطىء لعفة الأنثى وشرف العائلة ألغي كل ما يمكن أن يوصل إلى طريق (الحب / الجنس) . . الألفة ، الحنان ، الرقة ، والكلمة الحلوة .

والحب هو فعلاً الوجه الآخر للجنس ، عندما يصبح مفهوم ذلك الخيط الرفيع الفاصل بين الاثنين ، بين الرغبة والألفة ، هو العلاقة الوجدانية الانسانية بين الذكر والأنثى ، التي يتنامى نسيجها عند ذوي العواطف الرقيقة لتنقلب إلى ألفة ثم إلى حب بأسرع مما يتصور الانسان بعد أن يشبع الحرمان ، وتنطفىء جذوة الجنس .

يتحدد سلوك المواطن في البلاد الغريبة من أجل شيء واحد ((من أجل المتعة أنا هنا . . على بعد آلاف الكيلومترات . . زحفتها زحفاً من بلدي . .

ظمئت فيها ونالني تعب وشقاء .. أعطال السيارة ونزوح الماء منها .. و .. ألف مشكلة .. فهل أضيع ذلك الآن ؟)) [1] .

قد يكون وقت هذه المتعة محدداً بفترة زمنية معينة .. تطول أو تقصر ، لكنها تنتهي ، ويعود المواطن إلى نفس الحالة التي كان فيها قبل أن يسافر .. يحرقه الجنس ، ويعذبه الشبق .

قد يعود المواطن وفي يده امرأة تحت ستار زوجة ، يحس أنها تربطه قريباً أو بعيداً بالعالم الذي رآه وعاشه زمناً ، قد يكون ذلك على حساب كرامته [2] أو على حساب عمله وماله [3] .. أو على حساب أسرته والأماني التي كان سيحققها [4] .. أو على حساب وطنه ومجتمعه

---

(1) و(2) قصة حكاية صديقي / ص 184

(3) قصة العمل أولاً

(4) قصة المنزل الجديد

وجزء من مستقبل الوطن كان سيساهم في بنائه [1] .

وترتبط النظرة للجنس عند المواطن الليبي في قصص (خليفة التكبالي) بالفحولة ، فالجنس عند الأفراد ليس وسيلةً لغاية ، إنه غاية في حد ذاته ، ولذلك كان استغراب الشايب محمد من سخرية أصدقائه الشباب ((- يبي بنت صغيرة . . يبيها ، ما يخدم كان عليها . .

آه . . كم كان ذلك مؤلماً . . كم كان ذلك . . ولو أنهم رأوا حكاية الأمس ، لو أنه قص عليهم ما حدث . . آه . . يا للفظاعة . . هؤلاء الصغار لا يفهمون ، أعمارهم غضة . . لم يجربوا . . لم يعيشوا مثلما عاش . . ولم يروا .

- إسمع . . إسمع . . سكر فمك . . إنت قاعد صغيّر . . أنى اللي سكرت عليهم

(1) قصة الغرور

بالمفتاح . . إنت ما تحلمش بيـهم . . توا انخلولكم أنتم . . ترى ورونا . .

. . . .

. . . .

ـ راجل شيباني . . شيباني . . أني ما زلـت نجيب منه سته . .)) [1] .

ويزداد هذا الاحساس بالرجولة والفحولة عندما يكون الطرف الآخر أوروبياً أو أمريكياً ، إنها ظاهرة عامة عند ارتباط الشرق بالغرب ، عندها يتحول الشرق إلى رجل (أو جهاز تناسلي مذكر) والغرب إلى امرأة (أو جهـاز تناسلي مؤنث) في محاولة للتفـوق ، أو لمواجهـة التفـوق الحضاري الغربي على الشرقي [2] :

---

(1) قصة مشاعر هرمـة / ص 18 / 20

(2) يمكن الإطلاع على دراسة موسعة لمفهوم علاقة الشرق بالغرب في الأدب العربي للناقد جورج طرابيشي / شرق وغرب ، رجولة وأنوثة / منشورات دار الطليعة / ط 1/ 1977 م .

ويتجلى هذا واضحاً في سلوك محمد ، صبي المنزل عند الرجل الأمريكي ((. . وضعتها على السرير العريض المغري فأمرتني أن أصعد معها . . وعندها تربعت في صدري رجولتي الريفية . . وصوبت بصري إلى عينيها الوانيتين وجبينها المتقد . . لأول مرة أنظر إليها من أعلى . . كانت مطروحة على السرير . . . صغيرة ضعيفة ، وكنت أنا مرتفعاً عنها . . حتى لا أتنشق هواء . . غير ما تتنشقه . .)) [1] .

وفي سلوك الشاب الموفد في دورة دراسية خارج الوطن (كانت بضة تتنزه في الشارع. إقتربت منها . . وفي الغد كنت جالساً في مقهى عندما مرت إحداهن . . صدقني أوه يا أخي كم هي جميلة . . كلهن ملكتهن ، لم أترك واحدة ، تصوّر ، صاحب المقهى المفضل لديّ . . كلّمني . . أرجوك . . إذا

(1) قصة سر ما حدث / ص 266

أردت أن تحضر هنا فلا تكن هلوعاً . . ها . .
ها . . أتعرف ، لقد أخذت جرسونة المقهى . .
عنده حق ، أوه . . ذهبت إلى باريس أيضاً ، من
هناك سهل . . كل شيء سهل . . القطارات كل
دقيقة . . إركب في أي وقت . . إيه ،
الفرنسيات . . لا لا ليس كثيراً ، خمسة فقط
عرفتهن . . طبعاً . . طبعاً . . الأولى يا سيدي
كانت . . والخامسة سافرت معي ، تصور . .
رجعت إلى البيت وقالت لأمها إنها ستذهب في رحلة
مدرسية ، وفي القطار . . كنت قد تعرّفت إلى
أخرى . . ماذا . . أتظن أنها تركتني . . لا ،
أحرقتها الغيرة فتمسكت بي . . لم تتركني حتى
بعد أن ضربتها . . أوه ، أية نقود . . لا . .
لا . . هن يدفعن . .)) [1]

إنه نموذج الانسان المبهور بتوفر ما كان محروماً منه طيلة

---

(1) قصة الغرور / ص 291

عمره ، إنه الانسان (الديك) الذي يظل يتقافز بين الدجاجات ، غير مدرك لقيمة في الحياة خلاف التناكح ، هذا المبهور بالحياة الغربية في جانبها الجنسي ، يعتقد أن ذلك هو كل طموحه . وهو كل الغرب ، المتمثل في الجهاز التناسلي لامرأة .

إنها عملية تعويض عن الحرمان ، تنقلب إلى هوس وإدمان وإفلاس من كل الجوانب الخلقية .

* * *

خلال رحلة الحياة التي عاشها (خليفة التكبالي) أقام ثلاث سنوات في ألمانيا ؛ لم تكن حياته فيها هينة ، كانت شاقة . . كانت مليئة بالتجربة والمعرفة ، التجربة التي مرّ بها -(خليفة التكبالي) هنا تختلف عن تجاربه السابقة مع الأجنبي ، أوربياً كان أم أمريكياً ، والتي شغلت حيزاً من تفكيره ومن أعماله الابداعية[1] .

---

(1) هناك بحث قدم إلى ملتقى القصة في مؤتمر الأدباء الحادي عشر للأديب عمر أبو القاسم الككلي بعنوان (مسألة الأجنبي في قصص خليفة التكبالي) يبحث هذا الموضوع .

كانت التجربة ذات زخم في وجدانه ، في ارتباطه بالحياة والناس ، في احتكاكه بالحضارة الأوروبية مباشرة دون وسيط ، بما تضمه من كافة الجوانب ، السلبية والإيجابية ، وفي تعامله مع الثقافة بوجه عام .

ومع اختلاف الصورة في الخمسينات عنها الآن ، فإن كل الأفعال وردود الأفعال تختلف ، باختلاف الفاعل والمتلقي للفعل .

فممارسة الحرفة أو العمل اليدوي ، سواء كان في مزرعة أو مقهى أو مصنع أوضحت ذلك الفارق الهائل في النظرة للعمل وفي المقدرة على استخدام الآلة في كل المجالات ، أوضحت إختلاف سلوك الفرد في المجتمع والأسس التي تبنى عليها العلاقات الاجتماعية والاقتصادية ، ثم الفجوة الحضارية في المستوى الثقافي وأساليب التعليم ، وتركت المجال فسيحاً للمقارنة وإعادة صياغة المفاهيم .

من كل ذلك تشكلت في ذهن (خليفة التكبالي) صورة

جديدة ، قد تكون مرتبطة نوعاً بالصورة القديمة ، لكنها أيضاً تخلق معادلاً لها في بعض الجوانب ، ذلك أن الاحتكاك السابق بين التكبالي وبين العنصر الأجنبي في ليبيا ، أو بمعنى أشمل بين المواطن الليبي وبين الأجنبي في ليبيا كانت علاقة مبنية على عنصرين التفوق والتحدي ، التفوق من جانب الأجنبي متمثلاً في المستوى التعليمي الثقافي وفي المستوى الاقتصادي ، مما كوّن عقدة الاستعلاء والشعور بالسيطرة ، لتنقلب إلى صورة علاقة الحاكم بالمحكوم .

والتحدي من جانب المواطن الليبي بجعل القيم الدينية والخلقية تتصدى في مواجهة التفوق الحضاري بكل مشتملاته ، واعتبار الأجنبي ممثلاً للسلطة الفاسدة ، لذلك يجب الوقوف في وجهه ومقاومته . سواء بالامتناع عن التعامل معه [1] . . أو بسلب جزء من عناصر تفوقه المادي أو الاجتماعي [2] .

---

(1) قصص الكرامة / العمل أولاً

(2) قصص مشاعر هرمة / البذور الضائعة / المنزل الجديد =

لكن الاحتكاك المباشر بين (خليفة التكبالي) والحضارة الأوروبية ممثلةً في حياته بألمانيا غيّرت الكثير من جوانب تلك الصورة .

((حامد : إيه . . ربما نستحق . . ولكننا ولدنا في المكان الخطأ . . كان يجب أن نولد في مكان آخر .

خيري : أي مكان ؟ . . هل تقصد بلادهم ؟

حامد : أجل . ربما لو كنا هناك لكان لنا شأن آخر . .

خيري : أوتعتقد ؟ . . ما رأيك فيَّ أنا ؟ ألم أذهب إلى هناك . .

حامد : نعم . . ولكنك لم تولد . . إنما ذهبت ، وهناك فرق بين أن تذهب وأن تولد . .

= الغرور / مساكين / سر ما حدث / قبل أن يموت .

خيري : لست أفهم . . أي فرق ؟

حامد : إنه فرق مهم . . فرق الانتماء . . لكي تكتسب احترام وود جماعة ما . . لا بد أن تكون منهم)) [1]

لقد انقلب الوضع ، وتغيرت الصورة ، وأصبح المواطن الليبي هو الأجنبي في ألمانيا ، بما يتبع ذلك كله من تغير في أسلوب الحياة وفي النظرة الشمولية للعلاقات الانسانية بجمع العوامل التي تحكمها . . . لم يعد الأجنبي ممثلاً للحاكم ، بالدرجة الأولى ، لم تعد في ذهنه الصورة السابقة بأن الأجنبي هو الأرقى والأذكى ، كان يشاهد ويعرف ويتعامل مع نوعية معينة من الأجانب لكنه الآن يجد العامل الذي تطحنه الآلة ، يجد العاطل عن العمل والفقير والمريض ، ويجد جميع النماذج البشرية التي ترك في بلاده صوراً منها .

---

(1) قصة مساكين / ص 307

ومع صورة الانتباه إلى الفترة الزمنية ، والمستوى الحضاري في كلا البلدين ، ما هي الصورة التي رسخت في ذهن (خليفة التكبالي) خلال إقامته تلك ليظهرها بعد ذلك في عمل إبداعي مباشر . . ؟

إذا كانت النظرة العربية عموماً إلى أوروبا ، ومن خلال الأعمال الإبداعية تصنف الشرق على أنه الرجولة والغرب ممثلاً للأنوثة [1] . أي معادلة الحياة والثقافة والقيم بالرجل في الشرق والمرأة في الغرب ، فإن الهاجس يبقى دائماً يدور في فلك الجنس ، تجاه كل الكبت ونظرة الحرام والعيب ، تجاه أي سلوك ينطوي على معنىً من معانيه في الشرق يقابله السلوك الاجتماعي الذي يعتبره أمراً عادياً وحيوياً مثل بقية الأشياء الأخرى ، في الغرب ، يبقى هذا الهاجس متمثلاً في الذهن ، يحترق فيه الانسان الشرقي. وكما تعرَّض (خليفة التكبالي) لهذه المسألة ، أي الرجولة والأنوثة ، أو صراع التفوق بين الشرق والغرب

---

(1) جورج طرابيشي / شرق وغرب ، رجولة وأنوثة / منشورات دار الطليعة / ط1 / 1977 م .

بصورة مباشرة ، ممثلاً الشرق والغرب في شخصيات تخلق معادلاً للذكر والأنثى [1] . . سعى لأن يقدِّم (الصورة الجنسية) من خلال أطراف أوروبية هي التي تقوم بالعمل الذي يريد القصاص أن يخرج به كنتيجة ، فهو لا يريد أن يدخل الصراع بين الغرب والشرق بمقدار ما يريد تقديم لوحة للعلاقة البشرية والسلوك الجنسي عند الغرب كما تبدو من خلال عين شرقية راصدة .

نلتقي بالشخصيات الثلاث الرئيسية في القصة [2] كارل . . . إمرأة الحانة . . والسيدة شمت . . فكارل ((لم يكن يختلف في جلسته تلك كثيراً عن زملائه المحيطين به . . لا في السن ولا في الشكل ولا في دفقة الحيوية والنشاط النابعة من جسده الشاب . . كان شاباً كرفقائه . . يميل إلى الطول ، قوي الجسد متينه ، عريض الجبهة . . ذكي

---

(1) قصة الغرور

(2) قصة وجه الجريمة ص 49/ 50/ 52/ 63

العينين . . صارم بشفتيه الرقيقتين المطبقتين في إحكام . .)) .

((كانت زوجته قد حضرت الاحتفال . . ولقد كانت تأتي معه كثيراً إلى هذه الحانة أيام العطل عادة . . سعيدين . . يكنان لبعضهما حباً ولقدرهما امتناناً أن جمعهما معاً ووفق بين قلبيهما .

أما سبب تفرده الليلة . . فلا أترك لك الأمر تؤوله بما يعرف عنك من حب إلى الشر والخطيئة فتقول مثلاً إنه قد طلّقها أو إنهما تشاجرا أو شيئاً من هذا القبيل ، بل إني أسرع فأقول إن ذلك لم يكن إلا بسبب تعذر حضورها معه حرصاً على مظهرها في أعين الرواد وقد عرفوها رشيقة خفيفة . . فكيف بها تظهر أمامهم ببطنها المنتفخ ومزاجها السيء . . . ألا تدرك بعد أن زوجته حامل وفي الأشهر الأخيرة . . أو على التحديد في الشهر الأخير)) .

وامرأة الحانة ((كانت لطيفة ، صغيرة القد . .
فيها حيوية وخفة ، لم تكن جميلة بالمعنى المفهوم
للجمال ، ولكن قدها كان صغيراً ظريفاً ومتناسقاً
وعيناها كانتا تحلمان كثيراً وتشعان بالحلم . .
بحيث لا تملك إلا أن تحلم معها ، كانت
بالاختصار من ذلك النوع الذي يستولي عليك
ببساطة وسهولة . . تحتقرها عندما تراها . . يخيل
إليك فقط أنها أنثى ، فتجلس إليها بهدوء ودون
أن تكبت عواطفك وتستعد لمقاومة الإغراء . . .
تجلس إليها دون اهتمام ودون تقدير ، مجرد رفيق
تدردش معه وتفضي له بهمومك . . رفيق تتسلى
معه للحظات تلوك الكلام ، وتفرغ شحنة الضيق
بنفسك ثم تتركه إلى لقاء . . . لم تكن خطرة ولا
لعوب ، وذلك هو ما يطمئن قلبك ، ما يفتحه
ويتركه دون حصون فتتسلل إليه برقة ولطف . .
تتسلل إليه بخفة ورشاقة كالنسيم ، تحس به
يدغدغ شعرك ويربت على وجهك برفق ولين ، وما

أن تفيق فإذا أنت ملك لهـا . . إذا هي مسيطـرة عليك تسعدك وتستعبدك فلا ترغب في مفارقتهـا تتمنى لو تراها غداً وبعد غد وتراها دائماً.. تتمنى أن تمكث معها إلى ما لا نهاية . . تسمعها وتراها تضحك وتقرقر ، تحرك يديها وتميل برأسها فتحس النشوة ، تحس اللذة لمجرد أنها تحركت ، قامت أو جلست ، تستشعر الهناء والسرور إذا ضحـكت ، وتضحك معها من كل قلبك . . تحس بالالفة معها كأنك تعرفها منذ زمن سحيق تربيت معها وتعودت عليها . .)) .

والسيدة شمت ((كانـت في العقـد الخـامس من عمرها ، رقيقة الملامح وادعتها ، حبتهـا الطبيعـة بوجه بسيط مشرق تشع فيه سمات الأمومة ، وتبرق عيناها بالحنان والدعة واللـطف . . كانـت ممتلئـة الوجه والجسـم ، ذات تجـاعيد بسيطـة في الوجـه أثـرت ملامحهـا واكسبتهـا مهابـة وجـلالا . . هي

أرملة مات زوجها منذ زمن فرضخت لقضاء السماء . . وانثنت إلى ابنها الوحيد تمنحه الحب والود من قلبها الغني الكبير الذي يشبه قلوب الملائكة لفرط الطيبة والحنان . . .قصرت حياتها عليه وعلى نفر قليل من أصحابها تزورهم بين الفينة والأخرى . .تخفف من وحدتها وتزيل عن نفسها آدران الحزن والأسى . .)) .

يتعرف كارل بالمرأة في الحانة ، يخرجان إلى شقتها وقد تحوّل إلى كتلة من الشبق تبحث عن منفذ لتصريفها ، يفاجأ بالرفض من المرأة بعد أن مدت له خيوط الأمل في البداية ، يتركها مقهوراً مهزوماً ليلتقي في شارع مظلم بالسيدة العائدة من زيارة لأسرة صديقة لها في ساعة متأخرة من الليل ، يقابل الشبق والخوف والحذر . . وفي حديقة للأطفال يتم اغتصاب كارل للسيدة ثم يتبع عملية الاغتصاب بقتلها .

ومن خلال هذا الحدث يعطي (خليفة التكبالي)

رأيه بأن المجتمع الغربي لا يبني علاقات إنسانية سليمة بمقدار ما يلهب المشاعر ويدفع للإنحراف، عندما تصطدم الرغبة في فعل معين بحواجز تحد من حرية الحركة.

إنه إدانة لحياة وسلوك الأفراد في المجتمعات الغربية من الجانب الآخر، الجانب المقابل للتحدي والاحساس باسترداد الكرامة والسيادة، سواء بمضاجعة الأمريكية [1] أو الامتناع عن صرف الدلاع للخبراء الأجانب [2].

فالنموذج الانهزامي المبهور بحضارة الغرب وحياة الغرب لا يسعى لأن يكون وطنه مثيلاً له، أن يعمل بأسس الحضارة الغربية في العمل والتفكير، إنه يلجأ فقط لإشباع حاجة شخصية، حاجة لا يستطيع وطنه أن يوفرها له لأنها تتعارض مع مثله وأخلاقياته.

هذا النموذج المهزوم يفقد حتى انتمائه لوطنه، يفقد

---

(1) قصة سر ما حدث

(2) قصة الكرامة

إيمانه ليحل الدخيل بدل أقرب الناس إليه ، ومن هنا كان سعي (خليفة التكبالي) لعرض هذه اللوحة عن خلفية الحياة الاجتماعية في الغرب ، ومن هنا كان حكمه بالإدانة رداً على أولئك المهزومين .

لكنه يقدم لنا صورة الشخصية الظاهرية بشكل يفصل فيه بين السلوك العادي والقناعات ، بما يخلق ذلك التناقض في الأفعال وردود الأفعال ، وإذا بهذا التناقض يبرز لنا في النهاية بما يشكل إضفاء تصرفات وسلوك لا يمتان بصلة إلى ما سبق تكوينه من خلال رسم وتحديد أبعاد وملامح الشخصيات .

فمن خلال الوصف الظاهري تكون فكرة مبدئية ، لكن التناقضات بعد ذلك هي التي تشوش كل الإستنتاجات التي تبدو معقولة أول الأمر .

إن تقديم القصاص لصديقه امرأة الحانة يورد للذهن احتمال وجود علاقة شاذة بين المرأتين ((كانت عجوز عجفاء تجلس إلى البار برفقة امرأة شابة فيها شيء من الأنوثة وطراوة الجسد ، وكانت سيطرة العجوز

على المرأة بادية حتى ليخيل إليك أنها أمها أو قريبتها ، أو على أسوأ الفروض زميلة قديمة لها . . وبسبب من سيطرتها على تلك المرأة فقد حظيت بقسط وافر من اهتمام الرجال ، وشربت أيضاً ، وهو المهم ، من شرابهم الذي يدفعون ثمناً للّحم الطري الذي تحمله رفيقتها ما أخمرها وبعث في وجهها المغضن المدهون بالمساحيق حمرة خلابة بدت معها أصغر من سنها وأجمل مما هي عليه في الحقيقة ، وألطف وأقدر في الحديث . . إذ إنها وقد شعرت بالرجال يحيطون بها ، وبعد أن ذهبت الخمرة بعقلها ، قد أخذتها النشوة وانبعثت فيها آمال حواء الخالدة في أن تكون محبوبة . وأن تشتهى وتنال حظوة . . حتى ولو لم يكن لها من مصادر الاشتهاء إلا النزر اليسير)) [1] .

لكن هذه الفكرة سرعان ما يزيلها القصاص بعد جمل

(1) قصة وجه الجريمة / ص 47 - 48

قليلة ، أثر الاستجابة للذكر من قبلهما معاً .

ونمضي إلى تكوين صورة أخرى لإمرأة الحانة ((وها هي الليلة قد إلتقطت شاباً ظريفاً أعجب بها وأعجبها . . فلتتمتع به ومعه . . ولتقض وقتاً سعيداً خالياً من الهموم . . دون أن تهتم لأمر من أموره غير ما يأتيه في ساعته تلك معها ، كانت مطلّقة . . لها طفلان عانت في تربيتهما وقاست من مرارة الوحدة الشيء الكثير ، حتى إذا ما كبرا بعض الشيء بحيث أمكنها مغادرتهما في البيت لوحدهما دون أن تخشى عليهما . . إنطلقت إلى الليل تمرح فيه وتسكب في ثناياه حيويتها وشبابها . . تكرع الخمر وتراقص الرجال . . حتى إذا جن الليل وأخذها التعب ، تشبثت يد رجلها المختار . . إذا حدث وأعجبت أحدهم . . وغادرت معه الحانة إلى حيث يواصلان اللعبة وينهكان جسديهما الضامئين)) (1)

---

(١) قصة وجه الجريمة ص 54 .

وجه آخر لامرأة الحانة ، إمرأة لا هم لها إلا حياة يومها بغض النظر عن أي اعتبارات أخرى ، لكن هذا الوجه لا يلبث أن يتهدم حين نواصل أحداث القصة لنجد أنها ترفض مضاجعة كارل لها ، في بيتها أولاً ، ثم ترفض أن تربط نفسها به في أي مكان بعد محاولته إقناعها ، لماذا ؟ . . لأن طفليها نائمين في شقتها ، ولأنها لا زالت تذكر (الفضيحة) التي حدثت لها عندما ضبطها زوجها مع رجل في الشقة وكان ذلك بحضور طفليها . . .

تتلاشى هذه الأفكار كما تتلاشى فكرتنا عن كارل ، رب الأسرة الهادىء المتزن ، المحب لزوجته وابنه وهو يخوض غمار التجربة مع امرأة الحانة ، وتبقى أمامنا فقط صورة الوحش الذي يلغ في دماء فريسته ((وهناك في حديقة للأطفال حيث تمرح البراءة مع ضوء كل شمس . . هناك حيث الطهر والصفاء ، وضع المتوحش غنيمته اللحمية ، ذات الخمسين عاماً جثة مشوهةً ليس فيها من حياة سوى أنفاس رتيبة خافتة تصدر عنها في أنات ، وكأنما تستعطف

جلادها)) [1] .

يضيع القصاص بين هدف يحاول الوصول إليه من خلال واقع يعيشه ، وبين أعماق وجذور تسيطر عليه وتحكم آراءه ونظرته .

إن إدراك الواقع الإجتماعي الأوروبي ، والألماني بصفة خاصة ، الذي خاض حربين عالميتين في خلال فترة زمنية قصيرة خرج منهما مهزوماً مهدماً ، إضافة إلى زيادة سيطرة الآلة ، هذا الواقع هو الذي شكل الإطار الجديد الذي يحكم تصرفات البشر من خلال تجربة ماضية لا زالت آثارها مستمرة في الدمار العمراني والخراب الإقتصادي ، وتدمير النفس الإنسانية ، بالدرجة الأولى . من تحصيل الحاصل أن نقول إن ذلك لم يزد إلا في القلق النفسي وغياب المثل والقيم والبحث عن بديل لكل ما كان سائداً . . في السياسة . . الإقتصاد،الاجتماع ، وفي النظرة العامة والسلوك الفردي .

---

(1) قصة وجه الجريمة ص 69.

فالشخصيات في القصة ، كما هي في الواقع ، مدمّرة من الداخل ، وذلك الذي حدد سلوكها النهائي ، لكننا لا نجد هذا ، لا نجد إلا أناساً عاديين يمتلئون حيوية وحياة ونظرة مشرقة إلى اليوم والغد ، لذلك نفاجأ بالموقف الأخير لامرأة الحانة . . ونفاجأ بالموقف الأخير للسيدة شمت ، كما نفاجأ بالموقف الأخير لكارل .

لقد ظهرت امرأة الحانة بوجوه عديدة لم يكن أياً منها مقنعاً ، كما ظهر كارل كذلك .

ليس في المقدمات التي أعطاها (خليفة التكبالي) ما يعطي خلفية حول الشذوذ الذي ظهر من كارل ، ليس فيها تبرير لسلوكه المنحرف الذي ينتهي به إلى ارتكاب الجريمة ، ومن الممكن أن نصدق أن مثل التصرف الذي صدر عن امرأة الحانة يحدث لو كانت شرقية ، تعيش في مجتمع شرقي وتسلك سلوك أهل الشرق بكل الترسبات الإجتماعية ، أما في مجتمع غربي ، تختلف قيمه ، تختلف حياة الناس فيه ، يختلف سلوكهم ، فإن ذلك يبدو شيئاً غير معقول ، ذلك أن الوصف العام للقصة والشخصيات

والأسماء يعطي الدليل بأنها حدثت في بلد أوروبي ، وأبطالها والجو العام كذلك ، لكن دراسة سلوك الشخصيات ، قيمها ، مفاهيمها ، إهتماماتها ، إنعكاس الأحداث عليها ، كل ذلك يظهر لنا أنها تتصرف وتفكر وتعيش بأسلوب شرقي مخالف لكل ما يحدث في أوروبا ، من الحدث إلى ملحقاته وردوده ، فهي مجرد إسقاطات لأحداث تدور في الغرب بمفاهيم وسلوك أناس شرقيين .

إن إسقاطات الكاتب هي التي وجهت كارل نحو الجريمة كنتيجة غير مباشرة لرفض امرأة الحانة ، بدون تبرير . . ومن هنا تبدو النظرة المسبقة للقصاص في فرض هذه النتيجة ، ذلك أن مبررات الرفض عند امرأة الحانة غير مقبولة وغير منطقية ، ومن خلال رفضها كان سلوك كارل الغير مقنع أيضاً ، وبالتالي فلو كانت الشخصيات تتصرف وفقاً لسلوك الإنسان الغربي العادي لوقفت الأمور على حجرة مغلقة تضم كارل وامرأة الحانة .

فسعي الكاتب لإدانة السلوك الإجتماعي الغربي هو الذي دفع به إلى تطويع الأحداث وخط مسار لها يفتقد

التبرير ويفتقد الإقناع ، لأن الشخصيات تتصرف بتدخل من الكاتب ، لا لما تمليه وتفرضه عليهم طبيعة حياتهم في مجتمع آلي يعيش فيه الإنسان حياة إنسانية مدمرة .

لكن نواحي الضعف في قصص (خليفة التكبالي) لا تنفرد في البناء فقط ، إننا نجد الكثير مما يستحق النقاش . .

إن تدخل القصاص بالتفسير من جهة ، وبتعرية أعماق الشخصيات من جهة أخرى ، أمر لا يجوز فنياً ، إضافة إلى أن ذلك يثبت وجود خلل في البناء وإلا لما كان هناك لزوم لهذا التدخل ((وكانت ملامحه أيضاً تشكل نموذجاً عادياً إن لم نقل ممتازاً ، لما يجب أن يكون عليه رواد ذلك المحل . . كان شاباً ، أعني أنه صغير في السن ، فهو لم يتجاوز بعد الخامسة والعشرين ، أما ملامح نفسه العجوز المنطبعة الآن على وجهه أصدق انطباع ، فقد كانت غريبة عنه تبدو وكأنما ألصقت به إلصاقاً ، ولم تنبثق من

أغوار نفسه الصدئة المتآكلة،حتى أصحابه يملونه ، فيحاولون قتله أو إبعاده .يا للزراية التي يحس بها لنفسه .. بالألم ، أي حد للشعور بالمهانة والإحتقار .. يا للازدراء الذي نحسه تجاه أنفسنا ، تجاه ذواتنا ، عندما نقابل من الآخرين ، من الناس الذين نحبهم باللامبالاة .. عندما نحس أننا نضيع وحدنا .. ليس فينا نفع للآخرين ، كانت المشاعر تفريه .. تدمي قلبه ، كانت تبعث في نفسه إحساساً بالضياع ، بالضعة والهوان .. كان يحس بها في إبهام .. ذكريات تبعث في أغوار لا واعية أشياء صغيرة ، ولكنها كثيرة مزدحمة .. كانت تكون دوامة داخل نفسه المسكينة المجهدة .. تدور وتدور . وتعتصره بقسوة وفظاعة)) [1].

كما يتدخل القصاص في جوانيات أبطاله بطريقة لا

---

(1) قصة يقظة ص 78/ 89

تتفق مع السرد ولا مع الرواية ، اللذين يتضح تذبذب الكاتب في استخدامهما في القصة الواحدة ((كان فكره الصغير يشتعل وقلبه المراهق يتقد ، تتصارع فيه مشاعر شتى ، مشاعر الحب والفرح بعودة أخيه . ومشاعر الغيرة والكره التي تبثها فيه ذكريات أيامه الغابرة ، ذكريات الحكم المنفرد . . الديكتاتورية ، عندما يحكم ويفرض ، يفعل ما يريد ، ويأمر بما يريد ، لا أحد يعترض طريقه ولا أحد يستطيع أن يرفض أمره ، إلا أم ضعيفة وأخت أضعف ، وهو كفيل بهما يرغمهما على ما لا يريدان ، ويفرض عليهما إرادته وسيطرته ، وكان يجد في طوله وقوته خير معين))[1] . ((كانت أفكار غريبة وشاذة تدور في فكره . . مشاعر قوية مضطربة تحوم في وجدانه ، تجعله يشعر بالوحدة والحزن . . وبشيء من العار))[2]

(1) قصة تمرد / ص 8

(2) قصة مشاعر هرمة / ص 16

ومع ذلك فإن (خليفة التكبالي) لا يتدخل في جوانيات الأبطال وتعرية مشاعرهم فقط، بل يفسر ويحلل سلوكهم أيضاً . . ((وما أن رأى زملاءه ينتظرونه حتى تكونت من شعوره بالظلم . . من إحساسه بالذل والحرمان ، ثورة تمشت في أوصاله ، ثورة تطالبه بالعصيان والتمرد ، وتعلن إليه بأنه على حق، حتى شعر برغبة في الإستجابة إلى نداء عواطفه . .)) [1]. وعندما تبدأ عملية تفسير تصرفات الشخصيات فإن ذلك يهبط بالمستوى الفني للعمل الأدبي . . ((لقد قضى ليلة البارحة يتقلب في الفراش دون أن يطرق النوم جفنيه ، حاول النسيان ولكنه لم يستطع ، إن مشاعره الفوارة . . مشاعر الشيخوخة المتشبثة بالحياة . . مشاعر الرجولة فيه هو الشيخ العاجز ، كانت تحطمه وتذله . . ولكنها كانت تزيده رغبة واشتعالاً . . كانت تجعله يتشبث بالأمل يعتصره ، ويتعلّق بالقش)) [2].

(1) قصة تمرد ص 14

(2) قصة مشاعر هرمة ص 21

ويفلت الزمام من يد (خليفة التكبالي) عندما يفيض في الشرح والتبرير وفرض آرائه الشخصية على المواقف وعلى الشخصيات ((أما سبب تفرده الليلة فلا أترك لك الأمر تؤوله بها يعرف عنك من حب للشر والخطيئة فتقول مثلاً إنه قد طلّقها ، أو إنهما تشاجرا أو شيئاً من هذا القبيل ، بل إني أسرع فأقول إن ذلك لم يكن إلا بسبب تعذر حضورها معه حرصاً على مظهرها في أعين الرواد وقد عرفوها رشيقة خفيفة ، فكيف بها تظهر أمامهم ببطنها المنتفخ ومزاجها السيىء . . ألا تدرك بعد أن زوجته حامل وفي الأشهر الأخيرة . . أو على التحديد في الشهر الأخير)) . . ((ثم سمع خطواتها تسرح في البهو . . وتصدي في أذنيه كطرقات مطرقة تعلو وتهبط على رأسه متهشمة دون أن يسيل الدم الساخن على وجهه ، ذلك أنه كان يشعر بدمه بارداً ثخيناً يضغط على حواسه ويمنعه حتى من البكاء)) . . ((إنه لا يعنيها أن تستسلم

له ، بل لربما وجدت لذة في ذلك واشتاقت لفعله ، ولكن يجب أن يكون بعيداً من هنا ، بعيداً عن وكر الفضيلة الزوجية التي يحميها المجتمع ويحميها أولئك الأطفال الصغار حتى بغياب حارسها صاحب الحق الأول فيها)) [1]. إن أفكار الكاتب ، الواردة مباشرة على لسان الشخصيات القصصية تخلق تناقضاً بين السلوك والتفكير ليعطي بعدها أحكاماً مطلقةً بدون تبرير ((وفي البعيد . . في نقطة ما من نفس الشارع الصامت المتكاسل . . كان الشر الجبان . . يتقدم بخطوات الفاشلين الحاقدين المخذولين . . وكانت الخطوات المتضاربة . . صيحات التحدي العالية . . كانت تثير الشر وتستفزه)) . .
((وعندما نهضت السيدة شمت أخيراً لترجع إلى بيتها رغم إصرار مضيفيها على مبيتها معهم . . عرض عليها السيد ميللر أن يرافقها في الطريق إلى

(1) قصة وجه الجريمة ص50/ 61/ 59 /

بيتها . . ولكنها بما عرف عنهـا من عنـاد رفضـت عرضـه وأصرت على الذهـاب وحدها)) . .((كان كارل يزحف بخطواتـــه الساكنـــة إلا من حفيف كحفيف الثعبان ، بينما بحلقت عيناه وامتـد رأسـه أمامه وكأنما تجذبـه قوة خفية نحو تلك المرأة القادمة في اتجاهه . . الوانية الخطوة . والمرتعبة نوعاً ما . . أو قل الحذرة المتشككة)) [1]

وتتغلب (الأنا) على (خليفـة التكبـالي) ليتدخـل تدخلاً مباشراً لإبراز دوره في الرواية بمـا لا يتفـق مع فنية كتابـة القصة ولا حتى مع استخدام الأفعال والضمائـر . . ((أما سبب تفرده الليلة فلا أترك لك الأمر تؤوله بما يعرف عنك من حب إلى الشر والخطيئة فتقـول مثلاً إنه قد طلقها أو إنهما تشاجرا أو شيئاً من هذا القبيل ، بل إنـي أسرع فأقـول . .)) . . ((كان كارل يرتـدي حذاء من المطـاط . . حسنـاً ، لقـد

(1) قصة وجه الجريمة ص 65 .

نسينا أن نقول ذلك . .)) . ((قام كارل الآن وانتقل إلى منضدة أخرى من تلك المناضد المحظوظة)) . .[1] . . ((ومضت بهما الأيام يلتقيان ، أو قل يلقاها كل يوم فيسير معها خطوات)) . .[2] ((وغرزت أسنانها الرقيقة في الجلد الناعم حتى العظم . . وجاء دور خديجة في الصراخ الآن . . فزعقت بكل ما فيها من قوة))[3] .

ينتقل الكاتب من السرد للرواية للسرد مرة أخرى ، في القصةالواحدة ،حتى ليعجز الإنسان عن معرفة الزمن الذي يقع فيه الحدث ، الماضي أم الحاضر ، كما يلقي بظله على الشخصيات وعلى الأحداث ، ليخرج علينا بصفة الواعظ ، يعتلي المنبر ليلقي علينا دروساً إرشادية مباشرة ، تشوه الشكل الجمالي ، وتخلق خلخلة تفقد القصص الكثير

(1) قصة وجه الجريمة ص 64 / 66
(2) قصة أنقذ ملك أختي سعاد ص 129
(3) قصة معركة ص 325

من مقوماتها الفنية ((لم تستطع لا الشهامة ولا الفضول أن توقظ أولئك المتبطرين المطوحين في أسرتهم الوثيرة ليروا على الأقل كفاح تلك المرأة الضعيفة الملتاعة المغبونة تدافع عن نفسها ، عن شرفها . . وتشعر بالضعف والخزي والعار)) . .
((وراح في دناءة الحيوان يجر تلك المرأة المحترمة المليئة بالأفكار والعواطف والأحاسيس ، يسحبها على الشارع الوسخ الخشن ، كما يفعل الإنسان مع الجيف النتنة ، خمسة عشر متراً كاملةً جرجر ذلك الوحش الإنساني هذه المرأة الطيبة . . هذه الأم المغمى عليها ماعطاً لحمها على الأرض . . ممزقاً ثيابها . . جاعلاً منها صورة مشوهة قبيحة .

وهناك في حديقة للأطفال حيث تمرح البراءة مع ضوء كل شمس . . هناك حيث الطهر والصفاء . . وضع المتوحش غنيمته اللحمية ذات الخمسين عاماً جثة مشوهة ليس فيها من حياة سوى

أنفاس رتيبة خافتة تصدر عنها في أنات . . . وكأنما تستعطف جلادها))[1].

ومن العيوب الظاهرة استخدام (خليفة التكبالي) للهجة العامية في الحوار ، صحيح أن ذلك يعطي إيحاءاً عن الشخصيات والبيئة والثقافة ، إلى كل الجوانب الشكلية للقصة ، لكنه يوغل جداً في استخدام الألفاظ العامية ، حتى ليفسر الكلمة الفصيحة بكلمة أخرى عامية ((كانت العصابة تلك الليلة في كساد (محرقة) وقد ضاعت))[2].وحتى لينتقل هذا الإستخدام للعامية من الحوار إلى السرد ((البنت طايحة على واحد مغني . . البنت ما تبيش . . بتقتل . . والناس . . . الناس الذين لا يرحمون يلوكون سير الناس . . وتنتقل الشائعات . . حتى وصلت إبنه . . إبنه . . الذي جاء ما صح وجهه يعاتبه))[3].((وفكر الصبي . .

(1) قصة وجه الجزيمة / ص 68/ 69

(2) قصة البذور الضائعة ص 73

(3) قصة مشاعر هرمة / ص 19

بينما يخطو وراء الجماعة . . توا كان نمشي للحوش نلقي بوي فايق ، وارتعش جسمه الصغير . . عندما تذكر كيف كان يكتفه و يحلف بالطلاق ما واحد يحزني ما نكمله إلا معاه))[1] كما يتولى تفسير السرد بالحوار ((عندما وصل حياه النادل بقوله . . صباح الخير يا عم محمد . . فرد عليه بدمدمة غير مفهومة . .))[2] . . ((وارتعش الصبي وحاول الكلام ولكنه ارتج عليه فلم يخرج إلا تأتأة غريبة . . آهاً . . أي . . آه . . وانهمرت دموعه من عينيه غزيرة . .)) ((ثم يتمتم ممسكاً بشعرها الطويل المضفور كأنه يستغفر الله من أجلها .

ـ قرر . .قرررر . . .))

((. . وساحت دموع الصقيع على وجهه مختلطة بمياه الأمطار . . وسعل . . أح . . أ . .

---

(1) قصة البذور الضائعة ص 78/ 79/ 83/ 85

(2) قصة مشاعر هرمة ص 16

أ . . أ . . ححح . . حح . .)) . . .

((. . ولما كانت لكلماته سريعة وحنقة بالغ الذروة فقد خرجت كلماتـه همهمـة متصـفية . . هه . . هم ، هم))[1]. ((وهـي تتأبـى وتـرفض المساعدة . . مصرة على حملها بنفسها ، كأنما لتحقق بذلك رقماً قياسياً ما . .

- خللي عليك يا وليدي . . لا والله ما صارت . . تو نرفعه بروحي))[2].

ويحس الإنسان بركاكة الأسلوب وبطء الإيقـاع حـين يعمد (خليفة التكبالي) إلى فصل الجمل بدون داع . . ثم حين يكرر بعض الأفعال ((طلباتها تكثر وترهقه ، وأوامرها تشتد . . فتقيده وتجور على وقته . . وقته الـذي كان يقضيه في اللعـب والمرح . . في المغامرات ، في السباحة والسرقـة . . وو . . وقتـه

(1) قصة البذور الضائعة ص 78/ 79 / 83 / 85

(2) قصة الأصبع المجروح ص 101

الذي كان يمارس فيه حريتـه . . يمـارس فيه قوتـه وذكائه)) . . [1] .

ويستخدم (خليفة التكبالي) فعـل (كان) بكثرة في استهلالـه للقصص (سبع قصص تبـدأ بفعــل كان / كانت / كنت) . . وضمن السرد لدرجـة استخدامـه «55» مرة في إحـدى القصص [2] . . وتسـع مرات في إحــدى الصفحات ، إلى جانب كثرة استخدام حروف العـطف ، وهـي ظاهـرة سيئـة تلاحـظ على أغلـب الإنتـاج الأدبـي للقصاصين الليبيين .

إلا أننا نلاحظ أن العيوب السابق ذكرها تتجمع تقريباً في بدايات أعمال (خليفة التكبـالي) أي في القصص التي ضمتها مجموعتـه الأولى (تمـرد) فبـداية من قصـة (أنقذ ملك أختي سعاد) نلاحظ التطور الواضـح . سواء في الفكرة أو عرضها .

---

(1) قصة تمرد ص 12

(2) قصة الفقيه

نجد أن (خليفة التكبالي) بدأ يتخلص من الحشو الكلامي في السرد . . ويمتلك لغة سردية جميلة ، كما نلمس جمال الحوار الداخلي وجودة الحبكة والبراعة في اختيار النقلات من الحاضر إلى الماضي إلى الحاضر عند استخدامه للإسترجاع (الفلاش باك) كأسلوب فني كما يتخلص من النهايات المفتوحة في قصصه ليبدأ في الإعتماد على (الصدمة) كلحظة للتفجير والتنوير ، إلى جانب اهتمامه بمأساة الإنسان الفرد ، والمأزق الذي يقع فيه بين النظرية والتطبيق كسلوك واهتمامات حضارية .

ويتلاشى تأثير الغرب عليه كما يبرز ذلك من خلال استخدامه لأسلوب العرض السابق (القائل بعد الحوار) . . ومن خلال بعض الجمل الوصفية ذات التراكيب والجو الفني الأدبي الغربي [1].

لقد وصل (خليفة التكبالي) إلى اكتمال موهبته عندما فارقنا إلى العالم الآخر ، بعد أن قرع الجرس طويلاً ، ينبهنا . . ويلفت أنظارنا .

(1) قصة وجه الجريمة ص 55

الفهرس

الصفحة

صدر من سلسلة كتاب الشعب

لسنة 1398 هـ - 1978 م .

1 ـ أغاني العلم	عياد موسى العوامي
2 ـ يقظة الضمير	عبدالحميد المجراب
3 ـ عرس الثورة	جمعه المهدي الفزاني
4 ـ فلسطين والكتاب المقدس	ترجمة د. عمر التومي
5 ـ الأمثال الشعبية	تجميع محمد حقيق
6 ـ (14 قصة) من مدينتي	كامل حسن المقهور
7 ـ هوامش على تذكرة سفر	محمد الزوي
8 ـ معارك الغد	أحمد ابراهيم الفقيه
9 ـ تاريخ المسرح في الجماهيرية	المهدي أبوقرين
10 ـ أحزان اليوم الواحد	محمد علي الشويهدي
11 ـ قراءات في الأدب	د. صالح أبو أصبع
12 ـ كليلة ودمنة ومقتل ابن المقفع	محمد أحمد وريث



الثمن 100 درهم